الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم : الثقافة الشعبية

تخصص : علم اللّهجات

معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد 1217
تاريخ الوصول 2008
رقم الترتيب

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الثّقافة الشعبية

ألفاظ الفلاحة في اللّهجة الجزائرية
لهجة الرّمشي نموذجا
– دراسة صوتيّة دلاليّة –

إعداد الطالبة :

مامة صابري

إشراف الدكتور :

التيجيني بن عيسى

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ سعيدي محمد	أستاذ التعليم العالي	-ج- تلمسان- رئيسا
أ.د/ التيجيني بن عيسى	أستاذ التعليم العالي	-ج- تلمسان- مشرفا
د/ بوروبة المهدي	أستاذ محاضر	-ج- تلمسان- عضوا
د/مصطفاوي عبد الجليل	أستاذ محاضر	-ج- تلمسان- عضوا
د/خربوش عبد الرحمان	أستاذ محاضر	-ج- تلمسان- عضوا

السنة الجامعية : 1427هـ-1428هـ/2006م-2007م

بسم الله الرحمن الرحيم
تسترعين

الإهداء

إلى من قال فيهما سبحانه و تعالى :

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ من الآية 24 من سورة الإسراء

إلى والديّا اللّذين حرصا دائما أن آخذ حظّي من المعرفة موفورا،

و أن أبلغ فيها الغاية القصوى.

إلى كلّ من لهم علي حقّ فأنا مدينة لهم.

إلى كلّ إخوتي و أخواتي و أزواجهم و أولادهم.

إلى كلّ صديقاتي محبّة و إخلاصا .

إلى كلّ الأهل و الأحباب.

إلى روافد معرفتي أساتذتي الكرام.

إلى بلدي الجزائر الحبيبة.

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل.

حنان

مقدمة

مُقَدِّمَة

الحمد لله ولاء لذاته، و إقرارا بنعمته، خالق الألسن و اللّغات، واضع الألفاظ للمعاني، و الصّلاة و السّلام على أفصح العرب لهجة و أبلغهم حجّة و أقوم الدّعاة إلى الحقّ محجّة، و على آله و صحبه و من دعى بدعوته إلى يوم الدّين.

لن يخالفنا الرّأي أحد إذا قلنا أنّ اللّغة العربية الفصحى هي سيّدة اللّغات السّامية تتبوّأ منها أرقى منزلة منحها لها القرآن الكريم، ولكن إلى جانب هذا تقف حقيقة أخرى؛ وهي أنّ اللّغة تتفرّع منها أساليب كلامية يتّخذها النّاطقون كبديل للفصحى، و هي تمثّل نماذج شتّى لها كيانها وتاريخها و كل منها جدير بالدّراسة.

و إذا كان علماء اللّغة القدامى لم يهتمّوا بدراسة لغة الكلام لأنّهم رأوا فيها ما يسيء إلى العربيّة الفصحى التّي هي لغة القرآن و التّي يجب أن تُصان من كلّ لحن أو تحريف، فإنّ المحدثين منهم أدركوا أهمّيّة هذا الميدان و ما يمكن أن يقدّمه للفصحى نفسها بعدما أثبتوا أنّ كلّ لغة كانت في الأصل لهجة ثم ارتقت إلى مستوى اللّغة، نتيجة عوامل دينية واجتماعية و اقتصادية و سياسية و عسكرية، و من ثمّ باشروا في دراستها بصفتها شكلا لغويًا موجودا إلى جانب الفصحى و لا سبيل لإنكاره أو تجاهله.

و عليه بدأ البحث في اللّهجات فألفت فيها كتب كثيرة وقيلت حولها آراء متعدّدة، ولكنّها مجتمعة كانت تهدف إلى غرض واحد هو إثبات و جودها و دراستها باعتبارها لغة العامّة التي يجب احترامها.

و من هنا أخذ الدّرس اللّهجي يستقل تدريجيا ويتّسع موضوعه و غرضه، و وجد له الدّارسون مختصّون أرادوا أن تكون اللّهجة بما فيها من مستويات ميدان هذا الدّرس، وباشروا يدرسونها كعلم له معاييره و أهدافه.

أمّا عن موضوع بحثي هذا، فقد تردّدت كثيرا في اختياره، إذ كان ميلي أكثر إلى الدّراسة النّظرية، ولكن انتمائي إلى قسم الثّقافة الشّعبية -وبالضّبط شعبة اللّهجات الّتي تتطلّب الجانب التّطبيقي و الدّراسة الميدانية -حتّم عليّ أن أختار موضوعا يتناسب وهذا التّخصّص،و بعد أخذ وردّ مع الأستاذ المشرف وباقتراح منه وقع اختياري على دراسة ألفاظ الفلاحة في مدينة الرّمشي.

غير أنّني تخيّرت لهذه الدّراسة ناحيتين سيطرتا على كلّ اهتمامي حين كنت أتحسّس طريقي لإنجازها، و هما: النّاحية الصّوتية و النّاحية الدّلالية، إذ كانت رغبتي في استخراج النّظام الصّوتي السّائد في كلام هذه المدينة ثم أعود به إلى اللّهجات العربية القديمة محاولة في ذلك تفسير ما أصاب نطق الأصوات من تطوّر وبيان ما طرأ على الألفاظ من تغيّر ثم أردّهما إلى أصولها القديمة بغية توطيد الصّلة بين لهجاتنا القديمة و المعاصرة باعتبارها تالية لها.

و كان من وراء اختياريللهجة مدينة الرّمشي أسباب علمية و أخرى شخصيّة؛ فبما أنّ الدّراسة التّطبيقية تستوجب العمل الميداني اخترت لهجة الرّمشي بحكم انتمائي لها وبالتّالي درايتي بقدر كبير من خبايلها. أمّا الأسباب العلمية؛ فتتمثّل في تأصيل هذه اللّهجة و ربطها بالفصحى من خلال الكشف على التّغيّرات الصّوتية و الدّلالية التي أصابت العربية الفصحى و جعلتها تمتدّ إلى لهجة الرّمشي بما أنّ أصوات و ألفاظ اللّغة تترع إلى التّطور و التّغير.

و قد عمدت في بحثي هذا إلى الملاحظة و الاستقراء، ثم الاستنباط فالوصف و التّحليل؛ إذ جمعت مادة الدّراسة من أفواه الشّيوخ الفلاّحين، و كان رصدي لها عفويّاً حتىّ لا يسلكوا سبيل التّكلف الّذي قد يؤدّي بالمتكلّم إلى اعتماد لغة غير التي فُطر عليها، فاتّكأت على المنهج الوصفي في عرض هذه المادة التي جمعتها من ألسنة الفلاّحين و ربطها بما يماثلها في لهجات العرب قديما، و على المنهج التّحليلي في تحليل الظّاهرة و الكشف عمّا طرأ عليها من تغيّرات.

واهتديت من خلال هذه الرّؤية إلى اعتماد خطّة شاملة رأيتها تستوفي عناصر الموضوع، فقسّمته إلى مقدمة و فصلين يتقدمهم مدخل و تتلوهم خاتمة احتوت على ما توصّل إليه البحث من نتائج.

ففي المدخل؛ تحدّثت عن أصل تسمية المنطقة و جغرافيتها و حدودها، و ذلك لربط اللّغة بناطقيها، ثم تطرّقت بعد ذلك إلى الحديث عن الفلاحة و مفهومها وماذا قال الإسلام فيها،كما عرّجت أيضا على بعض ممّن برزوا في هذا المجال.

أمّا الفصل الأوّل من هذه الدّراسة فقد خصّصته للدّراسة الصّوتية؛ لأنّ الصّوتيات الأصل الّذي يُؤسّس عليه كلّ شيء و الصّوت هو أصل الأبنية اللّغوية كلّها، فتحدّثت في هذا الفصل عن بعض الظّواهر الصّوتية الّتي مسّت منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي؛ كالمماثلة و المخالفة و الإبدال و القلب و المقطع و النّبر.

و أمّا الفصل الثّاني فقد خصّصته للدّراسة الدّلالية وتناولت فيه أسباب التّطوّر الدّلالي؛ من أسباب اجتماعية ثقافية و أخرى نفسية و أخرى تاريخية، بالإضافة إلى عامل الانحراف اللّغوي الذي يعدّ هو الآخر من ضمن هذه

الأسباب. ثم تحدّثت بعد ذلك عن أشكال هذا التّطور كأن يأتي عامّا أو خاصّا أو قد ينتقل من مجال كان فيه إلى مجال آخر، سالكا في ذلك أسباب ساعدته على هذا الانتقال، كما تطرّقت أيضا إلى كلّ من العامّي الفصيح الّذي ورد في كلام الفلّاحين و الدّخيل و المعرّب.

و أملت عليّ طبيعة البحث العودة إلى مصادر و مراجع متعدّدة حاولت من خلالها تكوين و إرساء مادّة لغوية متفرّقة، لجمع جملة من الظّواهر اللّغوية، و هنا تكمن مشكلة البحث في اللّهجات الشّعبية، لأنّها تحتاج إلى صبر كبير و قراءة عميقة في بطون الكتب و المعاجم اللّغوية، و ذلك لتأصيل الظّاهرة اللّهجية و ربطها بما وقر في هذه الكتب.

فاستعنت بما كتبه أئمّة اللّغة في هذا المجال من كتب ومعاجم:

- كالعين للخليل.
- الكتاب لسيبويه.
- جمهرة اللّغة لابن دريد.
- الخصائص و سرّ صناعة الإعراب لابن جني.
- المخصّص لابن سيده .
- لسان العرب لابن منظور.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي.

و غيرها كثير، فقد كانت لي سندًا قويّا في اختراق مبنى و معنى الكثير من ألفاظ اللّهجة المدروسة، والتّغلغل في خباياها لكشف أصولها، كما استعنت أيضا بعدد لا بأس به من كتب فقه اللّغة و القراءات القرآنية:

- كالصّاحبي في فقـــه اللّغة العربية و مسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس.

- فقه اللّغة و سرّ العربية للثّعالبي.
- الإفصاح في فقه اللّغة لعبد الفتّاح الصّعيدي .
- اللّهجات العربية في القراءات القرآنية لعبده الرّاجحي.

فهذه و تلك تقدّم لنا صورة واضحة عن اللّهجات العربية المستعملة في العصور الغابرة و تعبّر عنها أحسن تعبير بشكل يجعلنا نقف من خلالها على واقع اللّهجات العربية الحديثة، إلى جانب دراسات جزئية جاءت في تضاعيف بعض المؤلّفات فكانت عونًا لي في ولوج أبواب هذا الموضوع.

و أخيرا فإنّ هذا العمل بما يقدّمه من جهد لا يدّعي أنّه وصل إلى الغاية، ولكن يزعم أنّه أضاف لبنة فيما قيل حول اللّهجات العربية الحديثة.

و لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدّم بجزيل شكري وامتناني إلى أستاذي المشرف؛ الدّكتور التجينـــي بن عيســـى الّذي قبل الإشراف على هذا العمل فكان نعم الموجّه و المرشد، كما أشكر أيضا كلّ من ساعدني من قريب أو بعيد.

فجزاهم الله سبحانه و تعالى عنّي خير الجزاء و الحمد لله ربّ العالمين.

و الصّلاة والسّلام على الرّسول الكريم.

في يـــوم: الأربعاء 7 شوال 1427 هـــ الموافق لـــ 30 أكتوبر 2006 م

الطّالبـــة: **صابـــري مـــامـــة**

المدخـل

حول مدينة الرّمثي والفلاحة فيها

1- الموقـــــع.

2- تاريـــخ إنشاء البلديـــة.

3- أصل كلمـــة الرّمثـــي.

4- دراسة المنطقة جغرافيـــا.

5- حول مفهوم الفلاحـــة.

6- الفلاحـــة في الإسلام.

7- من ثرات الفلاحـــة عند العرب.

8- علماء برزوا في مجالات الفلاحة.

1- الموقع:

تقع بلدية الرّمشي في الشّمال الغربي من الجزائر، يحدّها شمالا: بلـديتي الأمير عبد القادر وولهاصة الغرابة، شرقا: بلدية عين يوسف، جنوبـا: بلديـة الحناية، غربا: بلدية بني وارسوس، وهي تتربّع على مـساحة قـدرها 2.136 كم^2 و عدد سكانها حسب إحصائيات سنة 2004م حوالي 73447 نـسمة، وتعتبر بلدية الرّمشي بلدية ذات طابع فلاحي[1].

إلاّ أنّ التّهيئة العمرانية و مستوى العيش المتطوّر للوسط الحضري للمدينة دفع بسكّان المناطق الجبلية خاصة (ترارة وسبعة شيوخ) إلى الهجرة نحو هـذه المناطق الحضرية ممّا زاد في عملية العمران الّذي ذهبت ضحيّته أحسن الأراضي الفلاحية السّهلية في المنطقة[2].

2- تاريخ إنشاء البلديـة:

أنشأت بلدية الرّمشي في 1 أكتوبر 1955م عن طريق مرسوم وبذلك تمّ حلّ البلدية المختلطة حيث أصبحت تتكوّن فقط من " مونطنياك" مقر البلدية . والدّواوير: سبعة شيوخ، أولاد رياح، سيدي علي، بن شعايب، و الفحـول[3]، لكن و بعد سنة من ذلك أي عام 1956م أصبحت بعض الـدّواوير بلـديات مستقلة، بينما أصبحت بلدية الرّمشي تتكوّن من "مونطنياك" و قراها و هـي: سيدي بونوار، بورواحة عبد السلام، (معمل تافنة سابقا)، فـاطمي العـربي

---

[1] - هذا الكلام من خلال وثيقة سلّمت إليّ من طرف بلدية الرّمشي، ص 1.

[2] - ينظر: Groupement des communes Remchi Aîn youcef, wilaya de Tlemcen, Biland la situation actuelle 1993, Phase 1, P 133.

[3] - من خلال وثيقة سلّمت إليّ من طرف البلدية، ص 2.

(حجرة القط) سيدي علي، سيدي الشريف، عين عموش، سـيدي أحـصـد و القواسير[4].

3- أصل كلمة الرّمشي:

إن أصل كلمة "الرّمشي" الذي أطلق على البلدية جاء نسبة لدوار قديم يحمل اسم "الرّماشة"، حيث أطلق عليها هذا الاسم تخليدا للإخوة السّبعة الذين كانوا يحملون هذا الاسم، فقد قاوم هؤلاء الإخوة الاسـتعمار الفرنـسي إلى جانب جنود الأمير عبد القادر الجزائري، وعُرفـوا بـشجاعتهم وشـعبيتهم، وسقطوا في ميدان الشّرف قرب الدّوار الذي حمل اسمهم.[5]

وبعد ذلك ونظرا لموقع دوّار "الرّماشة" المحاذي لوادي تافنا وخشية من فيضانات الوادي، اضطر سكّان"الرّماشة" للانتقال داخل المدينة، حيث أطلقوا عليها اسم " الرّمشي"، وبقيت تحمل هذا الاسم إلى يومنا هذا بالرّغم من تغييره إبّان الاحتلال الفرنسي فأطلقوا عليها اسم "مونطنياك" نسبة إلى أحد المعمّرين الضّباط الذي جرح قرب سيدي إبراهيم (هنين)، إلاّ أنّه سرعان ما أُزيلـت هذه التّسمية بعد الإستقلال وعاد اسم " الرّمشي" وهذا حتى يبقى الـشّعب مرتبطا بتاريخه الحافل بالبطولات والأمجاد.[6]

و بما أننا بصدد دراسة ما يخصّ الجانب الفلاحي في هذه المنطقة، لا بأس من إعطاء نبذة مختصرة عما يميّزها من حيث التـضاريس والمنـاخ ونوعيـة الأراضي التي تتربع عليها مدينة الرّمشي.

---

[4] - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص4.

6- هذا الكلام هو ثمرة حوار أجريناه مع مجموعة من شيوخ المنطقة.

4- دارسة المنطقة جغرافيا:

1.4- التضاريـــس:

تمتاز منطقة الرّمشي بهضاب معظمها متساوية في الجنوب وتحـــيط بهـــا جبال تراة وسبعة شيوخ، وبالإضافة إلى وادي تافنة ويسّر اللّذين يلعبان دورا مهما في تكوين تضاريسها.[7]

2.4- المـنـاخ:

يمكن القول إنّ مدينة الرّمشي عموما هي طبقة بيومناخية، ذات شـــتاء لطيف وصيف ساخن وشبه جاف، أمّا عن مرحلة الجفاف فهي تعادل ســـنويا 17°، أقصى درجة تعادل 26° في شهر أوت، وأدناها 10° في شهر جانفي.[8]

3.4- التّوزيـــع العام للأراضي الفلاحيـــة:

من خلال نبذة سريعة فيما يتعلّق بالأراضي الفلاحية الـــتي تنتـــشر في منطقة الرّمشي يمكن تقسيمها إلى أربعة أصناف:

1.3.4- الصّنـــف الأوّل :

أراضي ذات قيمة عالية: وتتكون هذه الأراضي من تربـــة ذات عمـــق يتراوح ما بين 60 إلى 80 سم من صنف طُمّي، ذات غطاء رهيـــف متـــوازن وأكثر خصوبة، وهي تربة تصلح لكلّ أنواع الزراعة.[9]

2.3.4- الصّنف الثّانـــي:

أراضي فلاحية ذات قيمة متوسّطة، وهي تتكون من تربة ذات عمـــق

---

[7] - ينظر : Wilaya de Tlemcen Groupement des communes : Remchi, Ain youcef, projet du plan directeur d'aménagementet d'urbanisme, 1994, Phase III, P8.

[8] - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[9] - ينظر :المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

متوسّط، ما بين 30 إلى 40 سم، وهي تربة حمراء متوسّطة.[10]

3.3.4- الصّنـــف الثّالـــث:

أراضي فلاحية ذات قيمة أدنى، هذه الأراضي تشكّل عوائق من حيـــث طبيعة التّربة، ذات عمق يتراوح ما بين 20 و 30 سم، وهي تربة حمراء مغلّفـــة بقشرة كلسية، تصلح لزراعة القمح والخضر والكروم.[11]

4.3.4- الصّنف الرّابـــع:

أراضي زراعية ذات قيمة ضعيفة: هذه الأراضي هي الأخرى تـــشكّل عدّة عوائق بسبب غطائها الصّلب، وعمقها الذي يصل إلى 10 سم.[12]

هذا الموقع الجغرافي ساعد مدينة الرّمشي على زراعة أنواع كثيرة مـــن المزروعات، وبالتّالي تساهم بنصيب لابأس به في اقتصاد الدّولة، الّذي أصـــبح يواجه عدّة صعوبات مما أدّى إلى تدنّي مستوى الإنتاج وعدم كفايـــةفيسـدّ الحاجات الدّاخلية للبلاد.

و لعلّ السّبب في ذلك يعود إلى امتداد المجال الصّحراوي الّذي يـــشغل مساحة تفوق مليونين كيلومتر مربع، أي حوالي 90% من المـــساحة العامّـــة، وبالتّالي ضيق المساحات الزّراعية، حيث لا تتعدّى المساحة الصّالحة للزّراعة 3,1 % من مجموع مساحة البلاد ككل[13].

ونظرا لوعورة التّضاريس والظروف المناخية لم تُطوّر الفلاحة إلاّ في جزء قليل من التّراب الوطني لوجود صعوبات هيكلية وتقنية أيـــضا، والمتمثّلـــة في وجود ثلاثة قطاعات متباينة في تنظيمها وطرق استغلالها وهي:

---

[10] - المرجع نفسه، ص 32.
[11] - ينظر: المرجع نفسه، ص 33.
[12] - ينظر: المرجع نفسه، ص 35.
[13] - ينظر : الأنترانيت : http://www.cirs-tm.org/pays/paysAR.php?nom-algerie

قطاع التّسيير الذّاتي؛ ويضمّ الأراضي الزّراعية التّي كانـــت ســـابقا في ملكية المستعمر وقد أصبح العمّال الزّراعيون منذ الاستقلال يشاركون في تسيير شؤونها تسييرا ذاتيًا تنقصه الخبرة والتّأطير. أمّا القطاع التّعاوني؛ فيضمّ أراضي الجماعات وكبار الملاكين التي أممّتها الدّولة ســـنة 1971م، بموجـــب قـــوانين الإصلاح الزّراعي، ثم خوّلت حقّ استغلالها للفلاّحين الصّغار وعملت علـــى تنظيمهم في تعاونيات إنتاجية، غير أنّها واجهت عدّة مشاكل، من بينها رداءة بعض الأراضي الزّراعية وتأخّر الدّولـــة في تجهيزهـــا بـــالآلات والوســـائل العصرية[14].

وأمّا القطاع الخاص؛ فيشمل الأراضي التي يملكها ويستغلّها الفلاّحـــون الصّغار والمستوطنون وهو يشغل 60% من الأراضي المـــستغلّة، ويـــستقرّ في الأراضي الأقلّ خصوبة[14].

و نظرًا لما تواجهه الفلاحة الجزائرية من مشاكل تُعيق تطوّرهـــا تعمـــل الدّولة الجزائرية على الحدّ من هذه العوائق، وذلك بالعمل على توسيع الرّقعـــة المخصّصة للزّراعة وتنويع المحاصيل، وهو ما تعمل عليه مدينة الرّمـــشي الّـــتي توجد فيها أنواع لا بأس بها من المزروعات والّتي تشغل مساحة 1158 هكتار، منها 767 هكتار مساحة مسبقية و الباقي بور[15].

---

[14] - ينظر : subdivision agricole Remchi, Plan de production cultures maraîchers 2003-2004,P8

[15] - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

المدخل ـــــــــــــ حول مدينة الرمشي و الفلاحة فيها

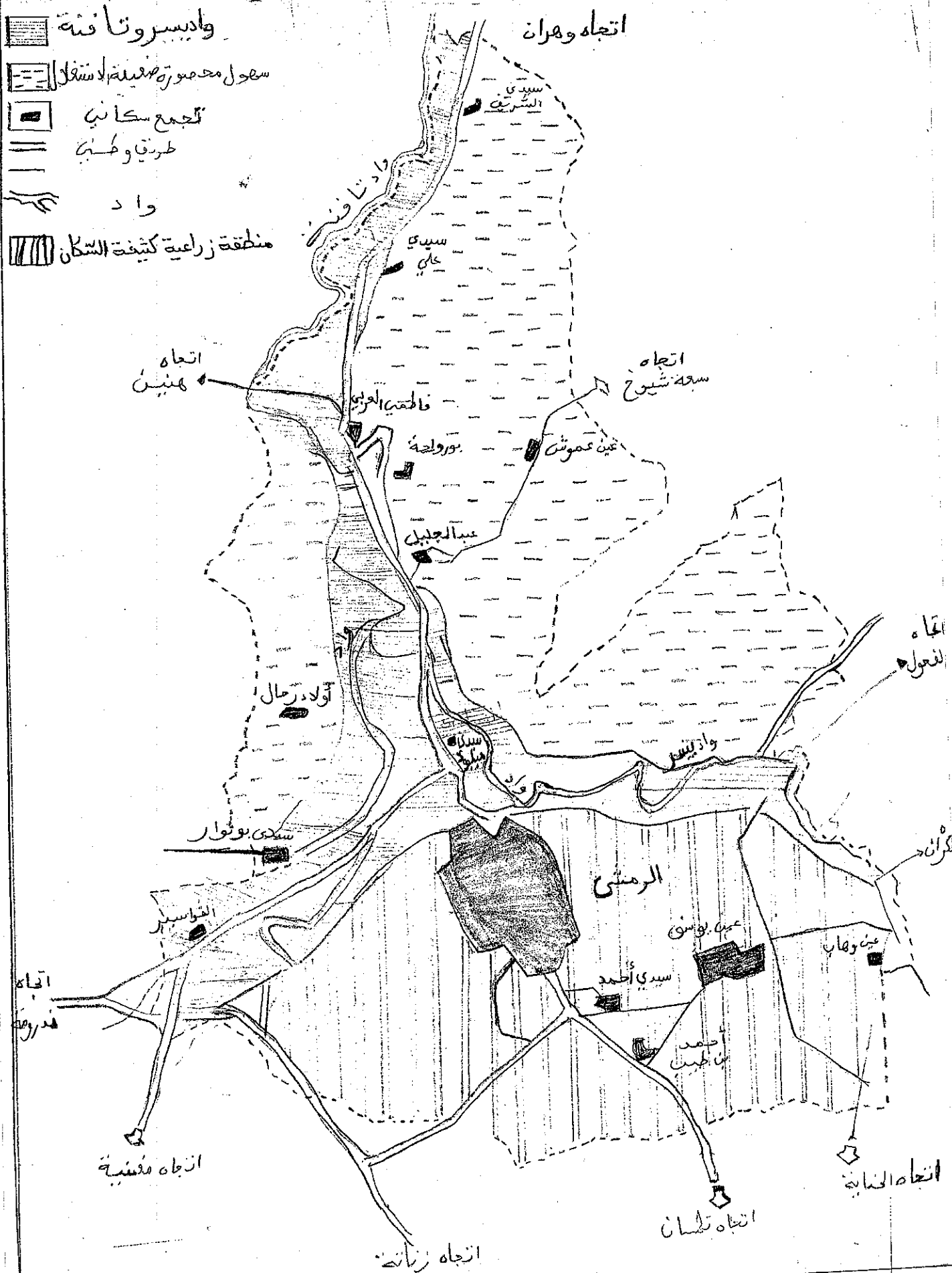

5- حول مفهوم الفلاحة:

تجمع المعاجم العربيّة القديمة[16] منها والحديثة[17] على أنّ الفلاحـــة هـــي عمل الفلاّح من حراثة وعمل في الأرض بوجه عام، يقول ابن خلدون :« هذه الصّناعة من فروع الطّبيعيات، وهي النّظر في النّبات من حيث تنميته ونشوؤُه بالسّقي والعلاج، وتعاهُده بما يصلحه ويتمُّه من ذلك كلّه».[18] والفلاحة كما نعلم قطاع لا يُستغنى عنه في مجال الاقتصاد لماله من أهمية قصوى باعتباره طابعًا معيّنًا يزاوله أغلبيّة النّاس.

والنّشاط الزّراعي و الارتباط بالأرض من أقدم وجوه المعاش والكسب وأنسبه إلى الطّبيعة كما جاء في كلام ابن خلدون: «إنّ الفلاحة مـــن أقـــدم الصّنائع لما أنّها محصّلة للقوت المكمّل لحياة الإنسان غالبا».[19] اهتـــدى إليـــه الإنسان بعد الصّيد لتحصيل قوته والتّعاون عليه مع أبناء جنـــسه، إذ هـــو« الأساس المادّي للتّطوّر الاجتماعي في حياة المجتمع الأوّلي، فقد مثّل الأســـاس الوحيد والشّرط الهام للبقاء والتّطور. ومازال هذا النّشاط الاقتـــصادي يمثّـــل عصب الحياة حتّى الوقت الحاضر لكثير من المجتمعات»[20].

و انتقال الإنسان من حياة الصّيد إلى حياة الزّراعة و الفلاحة جعله

---

[16] - ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، ط6، 1414هـ-1994م، د.ت، 48/2، مادة (فلح)، والقاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، إعداد و تقديم، محمد عبد الرحمن المرعشلي.دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، ط 1، 1414هـ- 1997م، 1/ 252، 253 مادة (فلح).

[17] - ينظر: المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر و محمد علي النجار، دار الدعوة، إستنبول (تركية)، 1 /401، مادة (فلح).

[18] - مقدّمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت (لبنان) ط2، 1416هـ- 1996م،ص 48.

[19] - المرجع نفسه، ص 376.

[20] - معجم ودراسة، في العربية المعاصرة، إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1 2001م، ص 103.

أكثر تماسكا مع عالمي النّبات والحيوان، وهذا مازاد من تجاربة وعمّـق ثقافته واضطرّه لاختراع أدوات تساعده على استغلال الأرض أحسن استغلال.

فكان لزاما عليه أن يبحث عن طرق وأساليب تمكّنه من أن يستغلّ هذه الأرض على أحسن وجه، هذا ما سنراه من خلال دراستنا لواقع الفلاحـة في مدينة الرّمشي إذ لم تعد بدائية تقليدية تعتمد على أبـسط الوسـائل، وإنّمـا أصبحت هي الأخرى تواكب التّطوّر الّذي مسّ كلٌّ من الوسائل والتّقنيـات والأساليب الّتي من شأنها تحسين المردود، بالإضافة إلى إدخالها لبعض المنتجات الفلاحية الّتي أصبح الإقتصاد والمجتمع يتطلّبها، بحيث لم تقتصر علـى زراعـة القمح والشّعير فقط، بل تعدّت ذلك إلى زراعة الكثير مـن أنـواع الخـضر والفواكه.

6- الفلاحة في الإسلام:

أولى الإسلام للزّراعة عناية كبيرة دون سائر النّشاطات الأخرى (مـن تجارة وصناعة)، باعتبارها أساس استقرار الإنسان، وكونها أوّل نشاط مارسه (بعد الصيد)، واقتات منه، فقد كرّم الله سبحانه وتعالى الزّراعة والزرّاع بـأن ذكرهم في كتابه العزيز في أكثر من موضع وأمر سبحانه وتعالى الإنسان بخدمة الأرض طاعة له و ابتغاء لمرضاته، فجعلها عملاً خالصا من أعمال البرّ، إذ هي ليست وسيلة للكسب فحسب، بل ينال بها ممارسها الأجر والثّواب في حياتـه وحتّى بعد موته، فقد روى الإمام أحمد عن أبي الدّرداء رضي الله عنه أنّ رجلا مرّ به وهو يغرس غرسًا بدمشق فقال له: «أتغرس هذا وأنت شيخ كبير، وهذه لا تطعم إلا في كذا وكذا عام؟، فقال له: ما عليّ أن يكون لي أجرها ويأكـل منها غيري». وفي ذلك إبانة على أنّ هذا العمل فيه من الأجر ما يبقى حتّـى

يوم القيامة، حيث يقول الرّسول ﷺ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرًا أَوْ إِنْسَانًا أَوْ بَهِيمَةً إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً »، [21] وقال أيضا: « إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا ». [22]

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى التّأمل والتّدبّر في ملكوت السّماوات والأرض، لاسيما الآيات التي تتّصل بالنّبات والحيوان، يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ، وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [23]. كما ذكر الله سبحانه وتعالى أنّ هذا العمل تميل إليه النّفس البشرية بالفطرة الّتي وضعها فيها، فقال عزّ وجل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾. [24]

وفي حديثنا عن فلاحة الأرض لا بدّ من الإشارة إلى أنّها لعبت دورا كبيرا في انشار الإسلام، هل تأمّلتم كيف انتشر الإسلام في ماليزيا وأندونيسيا عن طريق التّجارة، وماهي أنواع العروض التّجارية التي كان يجهلها التّجار؟، لا شكّ أنّها كانت منتجات زراعية وليست صناعية، وكما أنّ الزّراعة أساس التّجارة، فإنّها كذلك أساس التّصنيع في الصّناعات القائمة على المواد الخام الزّراعية، غذائية كانت أم كسائية، بل نشأت علوم التّسويق والتّغليف والتّعبئة

---

[21] - رواه مسلم بسند عن أنس رضي الله عنه.
[22] - رواه الإمام أحمد.
[23] - الآيات: 20-21-22، من سورة الذاريات.
[24] - 21- الآية 14 من سورة آل عمران.

و غير ذلك نتيجة لهذا التخصّص وذلك التّمنطق.[25]

والقرآن الكريم في تناوله للزّراعة لم يهمل نوعيها حيث أشار إلى أنّهـا تشمل قسمين هما:

الإنتاج الحيواني: كاللّحوم والألبان والصّوف وغيرها مـن المنتجـات الحيوانية الأخرى والإنتاج النّباتي: ويتمثّل في إنتاج المحاصيل من حبوب وخضر وفواكه، وجعل الله سبحانه وتعالى توازن وتكامل بـين هـاذين النّظـامين، وسخّرهما للإنسان فهو القائل في سورة الحجـر: ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾.[26]

فالزّراعة إذن كما ذهب إلى ذلك سليمان عيسى، بشقّيها الحيـواني والنّباتي وسيلة للغذاء والكساء الّذي يكفي كلّ مخلوقات الله على الأرض لـذا دعى الإسلام إلى استغلال الأرض بما عليها من حيوان أو نبات استغلالا يحقّق الهدف من تعمير الأرض واستقرار المجتمع وإيجاد سبل القوّة المادّيّة والاقتصادية،[27] وبالتّالي فهما ركيزتا النظام الزّراعي الّذي على الإنسان أن يديره لـصالحه حتّى يتمكّن من الاستمرار.

7- من تراث الفلاحة عند العرب:

تعدّ فلاحة الأرض من أهمّ الأنشطة الّتي يمارسها الإنسان، إذ هي مصدر للغذاء والكساء والمأوى بالإضافة إلى أنّها تـوفّر المـواد الـضّرورية لـبعض

---

[25] - ينظر الأنترنيت" www.55a.net عنوان المقال، العلوم الزراعية في ضوء القرآن و السنة ، الدكتور إبراهيم سليمان عيسى.

[26] - الآيات: 19، 20- 21، من سورة الحجر.

[27] ينظر : المرجع السابق.

الصّناعات الأساسية التي يُعوّل عليها في الاقتصاد كالموادّ الطّبية الّتي تستخرج من بعض الأعشاب أو الخضر أو الفواكه وغيرها من المواد الأخرى، لذا نجـد الكثير من أهل الاختصاص يرون أنه لولا الزّراعة ما قامت الحياة البشرية على الأرض بشكلها المعروف لنا الآن.

وحاول علماء الآثار والحفريات والزّراعة أن يحدّدوا كيف ومتى وأيـن بدأت الزّراعة على سطح الأرض فتوصّلوا إلى أنّ نوعا من الزّراعة كان معروفا منذ 9000 سنة قبل الميلاد، حيث اتّخذ الإنسان أوّل خطوة نحو الزّراعة عندما اكتشفت بعض القبائل أنّ النّباتات يمكن أن تنمو من البذور، وهذا الاكتشاف رسم الطّريق نحو التّعرف على كيفية التّعامل مع النّبات و مع بداية عام 8000 قبل الميلاد استطاعت بعض القبائل في الشّرق الأوسط زراعة النّباتات.[28]

ولو تتبّعنا تاريخ الزّراعة عند العرب لوجدناها قديمة قـدم اكتـشاف الإنسان لها باعتبارها أولى الوسائل الّتي اتّخذها البشر مصدرا لقوتهم، ففي الوطن العربي أقدم الأراضي الزّراعية في العالم والّتي يعود تاريخهـا إلى 10000 سنة خلت، و كانت مصر من أوّل البلاد التي ظهرت فيها الزّراعة، فقد عرف قدماء المصريين أهمية الزّراعة، وزاولوا نشاطها منذ أكثـر مـن 2000 سـنة، ووجدت على مقابرهم رسوم ونقوش ونماذج لطرق البذور والإنبات والحصاد والأدوات والآلات الزّراعية التي كانوا يستخدمونها [29]، وكانت الزّراعـة في أوّل الأمر تعتمد على قوى الإنسان والحيوان وبعض الأدوات التّقليدية، لكـن وبمرور الزّمن بدأ المكتشفون في تطوير هذه الآلات بغية النّهـوض بالزّراعـة وتحسينها.

---

[28] -ينظر: المرجع نفسه.

[29] - ينظر: عالم النبات في القرآن الكريم، عبد المنعم فهيم الهادي، دنيا محسن بركة، دار الفكر العربية، القاهرة (مصر)، ط1، 1419هـ، 1998م، ص 12.

لقد التزم المسلمون بخدمة الأرض مذ وعـوا أنّهـا سـبيل للبقـاء والاستمرار فباشروا بالعمل وحاولوا التّمسك بهذا الأساس الفكري (فلاحـة الأرض واستغلالها) الّذي أخذوه من القرآن والسّنة النّبوية الشّريفة، فظهر منهم علماء وباحثون حاولوا جمع هذا التّراث القديم وترجمته عن الإغريق والرّومان، فكان لهم الفضل الكبير في المحافظة عليه، ولعلّ أبرز ما يدلّنا على ذلك هـو أنّ العرب المسلمين هم السبّاقون إلى ابتكار أساليب وعلـوم تخـدم الزّراعـة، «وبديهيّ أنّ الحضارة الإسلامية كانت الأساس القويم -إن لم تكن الأسـاس الوحيد- لبناء النّهضة العلمية الحديثة التي بدأت منذ القرن 16م، فعلى أسـاس التّراث العلمي الّذي احتفظ به المسلمون عامّة والعرب خاصّة، وجمعوه مـن شتّى مصادره، وعلى العلوم التّي ابتكروها قامت النّهضة العلميّة الحديثة».[30]

وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على ما أولاه العرب المـسلمون مـن عناية بالأرض وعلومها، كما أنّه دليل واضح على أنّهم فقهوا أنّ ما في هـذه الأرض من ثروات إن لم يولوها كبير اهتمامهم وعنايتهم تستغلّ ضـدّهم لا محالة.

ولعلّ الفضل في ذلك يعود إلى الإسلام وتعاليمه التي كانت في معظمها تأمر بالعمل والسّعي وراء الكسب، « ولقد تمّ ذلك بداهة بفضل التّعاليم الّتي أخذوها عن الرّسول ﷺ ، ولولا أنّ الحضارة الإسلامية نهضت بهذا العـبء وفتحت الأقطار العديدة ومزجت شعوبها وثقافتها وصبغتها جميعـا بالطّابـع الإسلامي لما توفّر للنّهضة العلمية الحديثة المناخ الطّيب والأرض السّلمية التّـي بدأت ثم ترعرعت فيها بفضل رعاية علماء العرب والمسلمين لها»[31] .

---

[30] - الحضارة الإسلامية، علماء المسلمون و فضلهم في علوم الأحياء (الأرض – الزراعة، الحيوان و الحشرات)، إبراهيم سليمان عيسى، دار الكتاب الحديث القاهرة (مصر) ، د.ط، 1419هـ، 1999م، ص 99.

[31] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وبما أنّ الإنسان مدرك لمهمّته فوق هذه البسيطة من إعمارها و الـسّعي وراء كسب رزقه من أجل استمراره وبقائه، سعى دائما إلى البحث عن طرق تمكّنه من زيادة أنشطته لا سيما فلاحة الأرض كونه مرتبطا بها، و كونها أوّل نشاط زاول له و اقتات منه (بعد الصّيد) واتّخذ منه مهنا واجه بها صعاب الحياة ومستلزماتها، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الله سبحانه و تعالى جعل له هـذه الأرض ذلولا مصداقا لقوله جلّ شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[32].

فسخّر له ما في الطّبيعة من خيرات، ورزقه المطر والشّمس والرّياح ممّـا يساعده على زراعة هذه الأرض وخدمتها واستغلالها وفق ما تقتضيه حاجته، وأمره بالبحث والتّنقيب ابتغاء رزقه وفضله.

8- علماء برزوا في مجال الفلاحة:

لا شكّ أنّ مثل هذه العوامل كان لها الأثر الكبير في نبوغ جملـة مـن العلماء المسلمين في مجال الاعتناء بالأرض وخدمتها ممّا دفع بالكثير منـهم إلى احتراف مهنة الزّراعة والاهتمام بها وإن لم يكونوا متخصّصين فيها فقط، إذ قد نجد منهم مثلا عالِم في الزّراعة هو في نفس الوقت فقيه أو طبيـب، أو غـير ذلك... و هذا راجع بطبيعة الحال إلى المجتمع الإسلامي أنذاك و متطلّباته التّي كانت تحتّم على العالِم أن يشارك ويُسهِم بكلّ معارِفه، من أجل أن يرقى هذا المجتمع إلى المستوى المطلوب.

وعلى الرّغم من ذلك، فإن المتصفّح لكتب هؤلاء العلماء لم يجـد لهـم تقصيرا في مجال دون آخر أي لم يؤثّر فيهم انشغالهم بالتّخصّصات الأخـرى،

---

[32] - سورة الملك، الآية 15.

وهذا إنما هو دليل على ما أولاه العلماء المسلمين من عناية واهتمام كبيرين في مجال الفلاحة بوجه عام، فقد مضى هؤلاء العلماء في طريقهم واثقين أن الدّين موجّه العقل وراعية وعينه البصيرة فيه، ولهم نظرياتهم وأبحاثهم في كـثير مـن مجالات الأنشطة الزّراعية التي تتعلق بإنتاج المحاصـيل والخـضروات وأنـواع الحيوانات وصفاتها وسلوكها ومواطنها المختلفة وأصلها وأنواعهـا ووسـائل الاستفادة من منتجاتها.... وغير ذلك من فروع المجالات الزراعية المختلفة [33].

1.8- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ):

إنّ أوّل مؤلّف ظهر باللّغة العربية تكلّم فيه صاحبة على أسماء النّبـات والشجر وصفاتها هو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.[34]

وكتاب العين معجم ضخم قيّم ذكر فيه الخليل أمثلة كثيرة عن الفلاحة والنّبات منها:

1- العُجَرُمَةُ: شجرة غليظة لها كعاب كيهئة العقد تتخذ منه القِسي[35].

2- الضَّعْوَةُ: شجر يكون بالبادية.[36]

3- الطُّرْثُوثُ : نبات كالفطر مستطيل دقيق يضرب إلى الحمرة.[37]

4- العَرْعَرُ: شجر لا يزال أخضر يسمّى بالفارسية (سَرْوَا).[38]

---

[33] - ينظر: المرجع السابق، ص100.

[34] - ينظر: المؤلفات العربية في علمي الفلاحة و النبات، محمد زهير البابا، اتحاد كتاب العرب، دمشق (سورية)، 1408هـ-1987م، العدد 29، مجلة التراث العربي و موقعه على شبكة الأنترنيت :
http://www.awu-dam.org/trath/29-008.htm

[35]- ينظر : العين الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب و تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ط1، 1424هـ 2003م، 2/ 101، مادة (عجرم).

[36] - ينظر : المصدر نفسه، 18/3، مادة (ضعا).

[37] - ينظر : المصدر نفسه، 41/3، مادة (طرت).

[38] - ينظر : المصدر نفسه، 127/3، مادة (عرر).

2.8- الأصمعـي (ت 213هـ):

تكلّم الأصمعي عن الفلاحة في كتاب له سمّاه (النّبات)، وقد طبعه الأب لويس شيخو في بيروت عـام 1908م بالإشـتراك مـع أوغـست هـافنر A. Haffner.[39]

و فيما يلي أهمّ المواضيع الّتي وردت فيه:

1- أسماء الأرض (التّربة)، في حالتها المختلفة وما يصلح فيها من زرع.

2- أقسام النّبّات في حالات نموّه وازدهاره وإداركه.

3- تصنيف النّبّاتات بحسب صفاتها.[40]

ففي هذا القسم أورد الأصمعي الصّفات المختلفة الّتي قد يأتي النّبـات عليها، فذكر منها:

أحرار، ذكور، حمض وخِلّة؛ فأحرار النّبات هي ما حَسُنَ ورقه مـن البقول، وذكور النّبّات هي ما غَلُظَ وخَشُنَ منها، والحِمْضُ هي ما كان في طعمها ملوحة، و الخِلّةُ ما كان طعمها مُسْتَسَاغا ليس فيه ملوحة .[41]

4- عدد النّبّاتات والأشجار الّتي تنمو في السّهل وما ينمـو منـها في الرّمل.[42]

3.8- أبو حنيفة الدّينـوري (ت 282هـ):

ممّا لا شكّ فيه أنّ أشهر وأعظم من تكلّم عن النّباتات من نحاة ولغويين، كان أبو حنيفة الدّينوري، لقد استفاد هذا العالِم مـن مؤلفـات البـصريين

---

39 - ينظر: المؤلفات العربية في علمي الفلاحة و النبات،محمد زهيرا لبابا،مجلة التراث العربي،العدد 29

39 - ينظر: المرجع نفسه

40 - ينظر:المرجع نفسه.

41 - ينظر: المرجع نفسه

42 - ينظر: المرجع نفسه

والكوفيين، ووضع كتابا في علم النّبات، جاء في ستّة مجلدات، استقصى فيـه جميع ما جاء على ألسنة العرب من أسماء النباتـات، وصـار كتابـه عمـدة للمؤلّفيين من أطباء، وصيادلة وعشّابين.[43]

وإضافة لذلك فإنه أول عالم نبات عربي ينبغ في طريقة التهجين، حيث تمكّن من أن يستولد ثمارا ذات صفات جديدة بطريقة التطعيم، كما اسـتطاع أن يخرج أزهارا جديدة بالمزاوجة بين الورد البري وشجرة اللوز.[44]

4.8- الثعالبـي (ت 429هـ) :

أورد الثعالبي في كتابه فقه اللغة و سر العربية فصلا ذكر فيـه أحـوال ترتيب النبات من لدن ابتدائه إلى انتهائه، فقال:« أول ما يبدو النّبـت فهـو بَارِضٌ، فإذا تحرّك فهو جَمِيمٌ فإذا عمَّ الأرض فهو عَمِيمٌ، فإذا اهتزّ وأمكن أن يُقبض عليه قِيل: اجْتَأَلَّ فإذا أصغرَ ويَبِسَ فهو هَائِجٌ، فإذا كان الرّطب تحـت اليُبْسِ فهو غَمِيمٌ فإذا كان بعضه هائجا وبعضه أخضر فهو شَمِيطٌ، فإذا تهشّم وتحطم فهو هَشِيمٌ وحطام، فإذا يُبس ثم أصابه المطر واخضرَّ فذلك النَّشْرُ».[45]

وفي ذلك يواصل في وصفه للنّبات، فيقول: إذا طلع أوّل النّبت قيـل : أَوْشَمَ و طَرَّ، وكذلك الشّازب، فإذا زاد قليلا قيل: ظَفَرَ، فإذا غطّـى الأرض قيل : استحلس، فإذا صار بعضه أطول من بعض قيل: تَنَاتَلَ، فإذا تهيَّأ لليُـبْسِ قيل: اقْطَارَّ، فإذا يبس وانشقّ قيل: تَصَوَّحَ فإذا تمّ يبسه قيل: هاجـت الأرض هياجا.[46]

---

[43] - ينظر : المرجع نفسه .
[44] - ينظر: الحضارة الإسلامية، علماء المسلمون وفضلهم في علوم الأحياء، ص 101.
[45] - فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق، إميل نسيب، دار الجيل (بيروت)، ط1، 1418هـ - 1998، ص 353.
[46] - ينظر: المرجع نفسه، ص 354.

5.8- ابن البيطـار (ت 646هـ):

أعظم عالم نباتي أنجبته القرون الوسطى، أطلع العلماء على معلومـات جديدة من الأساليب الزّراعية والحصول على أصناف وأنواع مـن النّباتـات والمزروعات، وكانت لملاحظاته الخاصّة وإضافاته وتنقيحاته القيّمة الأثر العظيم في الأدوية والحشائش والعقاقير.[47]

ومن أهمّ وأنفس كتب ابن البيطار في النّبات كتابة "الجوامع لمفـردات الأدوية والعقاقير" واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسماءها ومنافعها، وبيّن الصّحيح منها وما وقع الاشتباه فيه وهو الّذي قال عنه ماكس مايهوف: إنّه أعظم كتاب ظهر في عالم النبات.[48]

6.8- ابن بصـال:

كان ابن بصال كما يقول معاصروه، عارفا بالفلاحة علمـا وعمـلا، مجرّبا خبيرا وبارعا فيها، ألّف كتابه في نهاية القرن الحادي عشر وبداية القـرن الثاني عشر ميلادي، و قد سمّاه (كتاب الفلاحة) وقسّمه إلى ستّة عشر بابا هي كالآتي :

الباب الأوّل: في ذكر المياه وأصنافها وطبائعها وتأثيرها في النّبات.

الباب الثّاني: في ذكر الأراضي (التّربة) وتـصنيفها بحـسب أنوعهـا وطبائعها وتمييز الجيّد منها.

الباب الثّالث: في ذكر السّماد العضوي وفائدته للنّبات.

الباب الرّابع : في اختيار الأرض وإصلاحها.

الباب الخامس والسّادس: في غراس الأشجار المثمرة والتّزيينية.

---

[47] -ينظر: الحضارة الإسلامية، علماء المسلمون و فضلهم في علوم الأحياء، ص 102.
[48] المرجع نفسه، ص 102.

الباب السّابع : في تشمير الأشجار (التّقليم و التشّذيب) وإصلاحها بعد هرمها.

الباب الثّامن : في تركيب الأشجار بعضها في بعض (التّطعيم).

الباب التّاسع: تكلّم فيه عن أسرار التّركيب.

الباب العاشر: في زراعة الحبوب من القطاني وما أشبهها.

الباب الحادي عشر: في زراعة البذور المتّخذة لإصلاح الأطعمة.

الباب الثّاني عشر: في زراعة القثّاء والبطّيخ والقرع وما أشبه ذلك.

الباب الثّالث عشر: في زراع البقول ذوات الأصول كاللّفت وما أشـــبه ذلك.

الباب الرّابع عشر: في زراعة البقول المختلفة كالكرنب...

الباب الخامس عشر: في زراعة الرّياحين ذوات الأزهار وماشاكلها.

الباب السّادس عشر: وهو باب جامع لأبحاث مختلفة منـــها مكافحـــة ديدان الحقل وكيفية نقل الأعشاب البرية وزرعها في البساتين...[49].

7.8- ابن العوّام الإشبيلـي:

صنّف ابن العوّام الإشبيلي كتابا قيّما في الفلاحة سمّاه "كتاب الفلاحة"، «ظهر في مغرب العالَم الإسلامي، في نهاية القرن الثاني عشر للميلاد وقد بـــيّن العالِم في مقدّمة كتابه الأهداف الّتي سعى إليها عند وضـــع مؤلّفـــه، وهـــي مساعدة من يريد أن يتّخذ الفلاحة صناعة يستعين بها بحول الله تعالى على قوته وقوت عياليه».[50]

---

[49] - ينظر: المؤلفات العربية في علمي الفلاحة و النبات،مجلة التراث العربي،العدد29 .

[50] - المرجع نفسه.

و قد أورد ابن العوام في كتابه هذا العديد من الأقــوال والأحاديــث الشّريفة التي تحثّ على العمل وطلب الرّزق منها «اطلبوا الــرزق في خبايــا الأرض».

فالعمل الفلاحي إذن وما يترتّب عليه يبقى دائما المظهر الأول للنّشاط الاقتصادي، ومع أنّ هذا العمل لا يزال يمثّل حتى اليوم الاتجاه الغالب للحياة الاقتصادية إلا أنه ونظرا لعدم كفاية الأعداد المتزايدة من السّكان، فقد ظهرت أنواعا جديدة من العمل، و تلاشت إلى حدّ ما القيم المرتبطة بالعمل الفلاحي وتغيّرت النظرة إليه.

الفصل الأول

الدراسة الصوتية.

1- التّغيرات التّركيبية.

1.1- الإبدال.

2.1 - القلب.

3.1- المماثلة Assimilation

4.1- المخالفة.Dissimilation

5.1- المقطع La Syllabe

6.1- النّبر L'accent

2- التّغيرات التّاريخية

1.2- عامل الحالة النّفسية.

2.2- عامل السّهولة.

3.2- عامل الشّيوع.

4.2- عامل اختلاف أعضاء النّطق.

5.2- عامل الخطأ في التّقليد.

تتّصف اللّغات بأنّها أصوات منطوقة يتداولها أصحابها مشافهة، وهذا إنّما يدلّ على أنّ الإنسان عرف الكلام المنطوق قبل المكتوب، وعليه فإنّ كلّ اللّغات البشرية المحكية التي تبلغ الألوف عدًّا هي في أصلها أصوات منطوقة بعضها انتهى إلى رموز مكتوبة وبعضها الآخر لم ينته إلى شكل من أشكال الكتابة.[1]

إلاّ أنّ الكثير من العلماء في دراستهم لأصوات هذه اللّغة البشرية وصيرورتها عبر الزمن نبهوا على أنها تتبدّل وتتطوّر بحكم أسباب داخلية أو خارجية تؤثّر في أصواتها فتغيّر من صفاتها ومخارجها، فهي إذن لا تستقرّ على حال، بل هي في تطّور مستمرّ وتبدّل لا يهدأ، تغير محابسها فتنتقل من نقطة إلى أخرى من مناطق الفم، أو تغير صفة أو أكثر من صفاتها التي كانت عليها، كما تحذف بعضا من أصواتها شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية المتغيرة.[2]

و قد عرفت اللّهجة بعض التغيّر و التطوّر في منطوقها كالّذي أصاب اللّغة في أصواتها باعتبارها وسيلة معيّنة في الاستعمال اللّغوي تتّصف بها بيئة خاصة من مجموع بيئات تلك اللّغة لأن كلاّ من اللّغة واللّهجة يتصلان بالصّوت، « فاللّغة ترتبط به من حيث إفادة المعنى و اللّهجة من حيث صورة النّطق وهيئته» [3].

ومّما تجدر الإشارة إليه هو أنّ طريقة نطق الأصوات بين أفراد اللّغة الواحدة

[1] - ينظر: مبادئ اللسانيات، احمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق (سورية)، ط2، 1419هـ 1999م، ص 35، والوجيز في فقه اللغة العربية، عبد القادر محمد مايو، مراجعة و تدقيق أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، حلب (سورية)، ط1، 1419هـ- 1998م، ص 40.
[2] - ينظر : الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي مكتبة، دار الشرق بيروت (لبنان)، ط3، د.ت، ص 296.
[3] - اللهجات العربية، نشأة و تطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة (مصر)، ط2، 1414هـ - 1993م، ص 12.

في البيئة الواحدة لا تكون متشابهة، إذ لا يمكن أن ينطق اثنان من نفس اللّغة صوتا معيّنا نطقا واحدا، بل يوجد الحضري الّذي يميل إلى التّخفيف والبدوي الّذي يسعى إلى التّفخيم وهكذا...

هذه التّبدّلات والتّغيرات الّتي مسّت الأصوات، دفعت بالصّوتيين وأهل اللّغة إلى البحث فيها، فقسّموها إلى قسمين:« تبدّلات تركيبية أو سياقية تصيب الأصوات نتيجة احتكاكها وتماسها بعضها ببعض في الكلام، وتبدّلات تاريخية تصيب الأصوات نتيجة التّطوّر الّذي تخضع له خلال الزّمان»[4]. فأدركوا الفروق بين هذه التّبدّلات التي تصيب الصّوت اللّغوي عند القيام بوظيفته عند النّاطقين به.

ولّما كانت ظاهرة الأصوات ظاهرة طبيعية عالمية لا يختص بها أفراد بيئة لغوية دون أخرى، آثرنا أن ندرس واحدة من هذه البيئات في إطار هذه التّبدلات من أجل معرفة ما أصاب هذه اللّهجة (لهجة الرّمشي وفئة الفلاّحين منهم)، وما اعترى أصواتها من ظواهر صوتية عامة.

فالتّطور الصّوتي إذن عامل مهمّ ومباشر في نشأة جملة من التّغيرات وهي كما يلي:

1- التّغيرات التّركيبيّة:

أثبتت الدّراسات أنّ اللّغة ليست كتلاً من الأصوات المفردة ولا رُكاما صوتيّا متروع الوشائج ينأى كل عنصر منه عن مجاوره ليُلفظ مستقلا بل هي مجموعة من السّلاسل الصّوتية المتلاحقة تتفاوت طولا وقصرا وتأتلف من هيئات

[4] - المرجع السابق، ص 299.

تركيبية قابلة للتّفتيت إلى وحدات صغرى.[5] إذْ الأصوات في أي لغة ترتبط ببعضها البعض فتشكّل نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاؤها فيما بينها انسجاما كلّيّا[6]، مما ينتج عنه تفاعل نتيجة تأثر هذه الأصوات وتأثيرها في بعضها البعض، إذ قد يحدث في الكثير من الأحيان أن تجتمع أصوات لا انسجام فيما بينها، بحيث يتعذّر على النّاطق تحقيقها وهو ما ذهب إليه عبد القادر عبد الجليل حينما أرجع هذا التنافر واللاّانسجام بين الأصوات إلى المخارج والصّفات التي تقوم بدور مزدوج فهي من جانب بمثابة المعدّل الذي يعمل على بعث التوافق والانسجام بين أصوات الوحدات اللّغوية أثناء عملية التّزاوج الصّوتي، في حين قد يؤدي اختلافها في الجانب الآخر إلى التّباعد والتّنافر اللّذين يثقّلان العلمية النّطقية[7] ممّا يضطرّ المتكلم إلى التّصرف فيها من أجل تسهيل نطقها عليه ويتم ذلك بإحدى الطّرق هي:

الإبدال أو القلب أو المماثلة أو المخالفة أو المقطع أو النبر التي من شأنها تقديم الحلول التي تمكّن اللغة من تجاوز تلك الاختلافات الصّوتية بغية تحقيق التوازن بين عناصرها حتى يعمّ الانسجام بين أصوات التّركيب.[8]

1.1- الإبدال:

لغة: مصدر الفعل أبدل نقول: أبدل الشّيء يبدله من شيء آخر، إذا جعله مكانه، وأصله جعل شيء مكان شيء آخر.[9]

[5] ـ ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للنشر و التوزيع، ط1، 1418هـ- 1998م، ص 270.

[6] ـ ينظر: اللغة، جوزيف فندريس،تعريب عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة (مصر)، د.ط، د.ت، ص 62.

[7] ـ ينظر: المرجع السابق، ص 270.

[8] ـ ينظر: العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة (مصر) ط3، 1418هـ- 1998م، ص 46-47.

[9] ـ ينظر: لسان العرب11/48، مادة (بدل).

أمّا **اصطلاحا**: فهو وضع صوت مكان صوت آخر مع الحفاظ على سائر أصوات الكلمة، ويعرّفه ابن يعش بقوله:« الإبدال أن تقيم حرفًا مكان حرف إمّا ضرورة و إمّا استحسانا».[10]

والإبدال ظاهرة لغوية شائعة في اللّغة العربية الفصحى، تنشأ عفوا من دون قصد من النّاطق في وضع صوت مكان صوت آخر، لذلك قال أبو الطيّب اللّغوي في مقدمة كتابه: «ليس المراد بالإبدال أنّ العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف، و إنّما هي لغات مختلفة لمعان مختلفة تتقارب اللّفظتان في لغتين (يقصد لهجتين) لمعنى واحد حتّى لا يختلفان إلاّ في حرف واحد... وما يدلّنا على ذلك أنّه لا يوجد في قبيلة واحدة من لا يتكلّم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصّاد مرة وبالسّين أخرى»[11] فهو يصيب الصّوت حين يجاور غيره أو يأتلف معه في السّياق، بحيث يتحوّل الصّوت الواحد إلى صوت آخر مع الإبقاء على سائر أصوات الكلمة واحتفاظها بمعناها الأصلي، وهكذا تشترك الكلمتان أو الكلمات في صوت واحد أو أكثر، في حين يبدل صوت منها بصوت آخر يكون قريبا منه في نشأته من جهاز النّطق، أو قد يشتمل على شيء من خواصّه، كما قد يكون بعيدا عنه.[12]

وهذا الإبدال يحتوي الكثير من أصوات اللّغة الصّامتة منها والصّائتة، بحيث أصبح ظاهرة لا تكاد تخلو منها لغة من اللّغات لا سيما اللّغة العربية الّتي صار فيها

---

[10] - شرح المفصل، ابن يعيش، طبعة المنيرة، د.ط.د.ت، 7/10،نقلا عن الإبدال و القلب في لهجة سيدي بلعباس،مخطوط رسالة ماجستير، إعداد بولغيتي فاطنة،إشراف:رشيد بن مالك/ و د.المهدي بوروبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1425هـ - 2004م، ص 28.

[11] - معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعة للطبع و النشر والتوزيع، الإسكندرية (مصر)، د.ط، 2002م، ص 217.

[12] - ينظر: التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، ط2، 1981م، ص 110.

سنّة درج عليها العرب في كلامهم على حدّ قول ابن فارس: «من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض...وهو كثير مشهور»[13] كما نجد ابن السّكيت (ت244هـ) هو الآخر يعرض رأيه الّذي يؤكّد أنّ الإبدال من خصائص اللّغة العربية وأنّه أصبح من المسائل الّتي لا تحتاج إلى عناء في تفسيرها ولا يصحّ أن تكون موضع نقاش أو ممارسة بل علينا أن نتلقّاها على أنّها قضية مسلّم بها، لأنّ العرب كانوا يستبدلون حروفا بحروف أخرى دون سبب ظاهر وينطق كلّ منهم على حسب ما يستهوى.[14]

و إلى جانب اشتراط قرب المخارج والصّفات في وقوع عملية الإبدال، هناك من عدّ هذه الظّواهر من قبيل تنوّع اللّهجات الّتي مرّت بمراحل طويلة، فتطوّرت فيها الأصوات و تأثّر بعضها ببعض بسبب التّجاور والتّقارب في صفاتها ومخارجها[15]، والرّأي ذاته أدلى به الرّافعي (ت 1880هـ - 1937م)، الذي ذهب إلى أنّ الإبدال يقع بين صوتين، ويكون إمّا في لغة القبيلة الواحدة أو يكون في لغتين لقبيلتين متفرّقتين.[16]

إلاّ أنّ هناك نفر آخر عزى ظاهرة الإبدال إلى التّطور الّذي يصيب أصوات الكلمة و هو ما ذهب إليه إبراهيم أنيس في قوله:« حين نستعرض تلك الكلمات الّتي فُسّرت على أنّها من الإبدال حينا، أو من تباين اللّهجات حينا آخر، لانشكّ لحظة في أنّها جميعا نتيجة التّطور الصّوتي أي أنّ الكلمة ذات المعنى الواحد حين

---

[13] - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها و سنن العرب في كلامهم، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه و وضع حواشيه، أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) ط1، 1418هـ 1997م ص 154.

[14] - ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، ط3، 1966م، ص 53.

[15] - ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، دار العلم للملايين بيروت (لبنان)، ط9، 1997م، ص 134.

[16] - ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط4، 1974م، 146/1.

تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، و يكون الاختلاف بين الصّورتين لا يجاوز صوتا من أصواهّا نستطيع أن نفسّرها على أنّ إحدى الصّورتين هي الأصل والأخرى فرع لها وتطوّر عنها، غير أنّه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصّوتية بين الصّوتين المبدل والمبدل منه؟»[17] وعليه فأكثر صور الإبدال هي في حقيقتها ضرب من التّطور الصّوتي الّذي خضعت له اللّغة العربية في أصواهّا، استمرّ استمرارا طبيعيّا في الجاهليّة بتأثير أسواق العرب، وفي الإسلام بفضل القرآن الكريم الّذي حفظ لغتنا العربية ووحّد لهجاهّا.. وعن هذا التّطور نشأت ألفاظ كثيرة متشابهة في المعنى و في المبنى.[18]

ومهما يكن من اختلاف الأسباب في وقوع الإبدال تبقى هذه الظّاهرة خاصية تمتاز بها اللّغة العربية فتدخل على مجموعة معينة من أصواهّا والّتي حدّدها أهل اللّغة ورأوا أنّها أكثر من غيرها؛ فعدّها البعض منهم اثنتي عشر صوتا، و البعض الآخر أربعة عشر صوتا، حيث يقول ابن يعيش: أمّا حصر حروف البدل في العدّة الّتي ذكرها فالمراد الحروف الّتي يكثر إبدالها واشتدّت واشتهرت بذلك ولم يرد أنّه لم يقع البدل في شيء من الحروف سوى ما ذكر، في حين عدّها آخرون باثنين وعشرين صوتا كلّها هي حروف البدل الشائع في كلام العرب.[19]

ونؤثر في بحثنا هذا أن نسلك مسلك اللّغويين، ونكتفي بالتّعرض لبعض الأصوات التي مسّتها هذه الظاهرة من خلال ما تيسّر لنا جمعه من كلمات منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي.

[17] -من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 59.

[18] - ينظر: الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة كمال ربحي، جامعة بيروت العربية (لبنان) د.ط، 1980م، ص 99، نقلا عن الإبدال و القلب في لهجة سيدي بالعباس، بو لغيتي فاطنة، ص8.

[19] - ينظر:المرجع السابق، ص55-56.

1.1.1- إبدال الهمزة حروف علّة:

يعدّ هذا المظهر الأكثر شيوعا سواء في اللّهجات العربية القديمة أو الحديثة، وهذا راجع إلى صعوبة نطق هذا الصّوت وتعذّر تحقيقه، كونه يخرج من أقصى الحلق، بل هو أوّل الأصوات مخرجا في الحنجرة،[20] وبالتّالي يكلّف جهدا عضليّا كبيرا لذلك نجد الكثير من اللّهجات تميل إلى التّخلص من إبداله وأحيانا حذفه، «ولم يكن تخفيف الهمزة مقصورا على لهجة قبيلة دون سائر اللّهجات القديمة، و إنّما كان فاشيا في كثير منها، و إن تفاوتت صور التّخفيف ودرجاته».[21]

أمّا تخفيف الهمز في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، فنجده متجسّدا في كثير من الكلمات كقولهم:

رَاسْ في رَأْس.

فَاسْ في فَأْس.

بِيْر في بِئْـر.

وهذا الإبدال لا نجد له مسوّغا إذ الهدف منه هو التّخفيف، كما أنّ « وقوع الصّوت في وسط الكلمة يعرّضه لكثير من صنوف التّطور والانحراف، فمن ذلك ما حدث بصدد الهمزة الواقعة في وسط الثّلاثي، فقد تحوّلت إلى ألف ليّنة»[22] والغرض من وراء ذلك هو توخّي اليسر والسّهولة في النّطق.

فلو تتبّعنا نطق الهمزة عند هؤلاء الفلاّحين، لوجدناها تكاد تختفي من

---

20 - ينظر: في صوتيات العربية، محي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، د.ط، 1979م، ص 82.

21 - من أصول اللهجات العربية، عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر) د.ط. 1989م، ص23.

22 - فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة للطبع و النشر، الفجالة القاهرة، (مصر) ط8،د.ت، ص 135.

منطوقهم باعتبارها تتشكّل بقطع النّفس على مستوى الوترين في حال تطابقها[23] ممّا يشكّل صعوبة في النّطق فتتحوّل إلى صوت لين طويل من جنس الحركة التي قبلها، فتصبح فتحة طويلة إذا سبقتها فتحة وكسرة طويلة إذا سبقتها كسرة وضمّة طويلة إذا سبقتها ضمّة.

وبهذا يمكن القول بأنّ الهمزة في اللّهجة عموما لا تتحقّق إلاّ نادرا، فتكون إما مبدلة وإمّا منقلبة وإمّا محذوفة، وهذه ظاهرة عامة في اللّهجات العربية الحديثة.[24]

2.1.1- إبدال الثّاء تاء:

من أمثلة هذا النّوع من الإبدال في القديم ما جاء في قول "ابن جني" حين ذكر أن الثّاء أبدلت تاء، «واعلم أن التّاء إذا وقعت فاء في (افتعل)، وما تصرّف منه قلبت تاء، و أدغمت في تاء (افتعل) بعدها، وذلك قولهم في افتعل من الترديد: اتّرد وهو مُتَّرِدٌ، وإنّما قلبت تاء، لأن التّاء أخت الثّاء في الهمس، فلمّا تجاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها في التّاء بعدها ليكون الصّوت نوعا واحدا»[25].

ويكاد يختفي صوت الثّاء من منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي لما يتطلبه من مجهود عضلي في إخراجه، كونه صوتا احتكاكيا مهموسا يخرج مما بين الأسنان[26]،

---

[23] - ينظر: علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت (لبنان)، د.ط 1988م، ص 183.

[24] - ينظر: مجلة التواصل ، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، تصدر عن جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر) عنوان المقال : الخصائص الصوتية للدارجة الجزائرية، دراسة في لهجة بن فتح(جيجل)، بلقاسم بلعرج، ص 144.

[25] - سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق حسين هنداوي، دار القلم دمشق (سورية)، ط1، 1405هـ - 1985م، ص 171.

[26] - ينظر: فن الإلقاء بين النظرية و التطبيق، نجاة علي، تقديم مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، ط3، 1424هـ- 2003م، ص102.

وهم لذلك يبدلونه (تاء) بصفته أقرب منه مخرجا، فيقولون:

حَرَت بدلا من حَرَث.

تَبَتَ بدلا من ثَبَتَ.

3.1.1- إبــدال الــدّال تــاء:

جاء إبدال الدّال تاء في موضع واحد وهو قولهم: "التّشيشَة" في "الدّشيشَة"، وذلك لما بين الدّال والتّاء من قرب في المخرج أجاز استعمال الأوّل مكان الثّاني؛ إذ التّاء هو النظير المهموس للدّال وهو ما أقرّه السّيوطي حينمـــا ذكـــر أن العرب تناوب الإبدال بين الدّال والتّاء في كلامهم، فيقولون: سَـبْنَتي وسَـبْنَدي للنّمر، ومُدٌّ في السّير ومُتٌّ .[27] وما أورده الزّجّاجي (ت 337هـ) بقوله: " السَّتَى والسَّدَى ورميت مدَّ يدي ومتّ يدي".[28]

1.1.4- إبــدال الــذّال دالا:

نقلت إلينا المصادر العربية بعض الأمثلة التي وردت فيها إبدال الــذّال دالا، منها ما جاء في قول "أبي عبيدة" في الغريب المصنّف في "باب مـــا ورد بالـــدّال والذّال في كلام العرب، فقال: «ما ذقت عَدُوفا ولا عَذُوفا: أي مأكولا، ورجل مِدْلٌ ومِذْلٌ: وهو القليل الجسم.[29]

أمّا عن فلاّحي مدينة الرّمشي فهم يبــدلون الــذّال دالا ولا يــسعون إلى تحقيقها، وهذا راجع إلى ما يكلّفه هذا الصّوت من عناء أثناء النّطق به، فالــذال

---

[27] يُنظر: - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، شرحه و ضبطه و صححه و عنون موضوعاته و علق حواشيه محمد أحمد جاد المولى و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت لبنان، د.ط، د.ت، 464/1.

[28] - الإبدال و المعاقبة و النظائر، أبو القاسم عبد الرحمن إسحاق الزجاجي، حققه وقدم له و شرحه، عز الدين التنوخي، دار صادر، بيروت (لبنان)ط2، 1412هـ 1993م ص 42.

[29] - ينظر: المصدر السابق 1/ 544-545.

تتشكّل بأن يوضع اللّسان بين الأسنان العليا والسّفلى، [30] الأمر الذي يصعب على المتكلّم تحقيقه، فيبدله صوتا آخر قريبا منه مخرجا وهو الدّال.

ومن أمثلته في منطوق الفلاّحين قولهم:

مَدْرَ في مذْرَى.

دَرَّ في ذَرَّ الحَب.

الدْرَ في الذُّرَى.

دْبَل في ذَبُلَ.

1.1.5- إبــدال السّين زايــا:

ورد في كتب اللّغة أنّ العرب كانت تستعمل السّين والزّاي فتقول: خَسَقَه وخَزَقَه إذا طعنه، وشَزِبَ الفرس وشَسِبَ: أي ضمر، وهو الزَّطُ و السَّطُ، وهـو رُزْدَاقُ ورُسْتَاق، ومنه ارْتَجَزَ وارْتَجَسَ: تحرّك. [31]

و من صور هذا النّوع ما نجده في قول الفلاّحين في كلّ من:

يزكِي بدلا من يَسْقِي.

زَعْتَرْ بدلا من سَعْتَرْ.

مَهْرَاز بدلا من مِهْرَاس.

وسبب الإبدال في هذه الحالة هو اشتراك كل من السّين و الزّاي في المخرج وهو طرف اللّسان وأعلى باطن الثّنايا[32] من جهة، ومن جهة أخرى مجاورة السّين

---

[30] - ينظر: تربية الصوت وتطوير الإلقاء، سامي عبد الحميد، مطبعة الأديب البغدادية،بغداد (العراق)، د.ط.د.ت، ص 42.

[31] - ينظر: الإبدال و المعاقبة والنظائر، الزجاجي، ص 51.

[32] - ينظر: الصوتيات و الفنونولرجيا، مصطفى حركات، المكتبة العصرية، صيدا بيروت (لبنان) ، ط1، 1418هـ 1998م، ص 96.

الأصوات المجهورة كالرّاء والعين، فتأثّر الصّوت الموالي بما قبله فانقلبت السّين إلى نظيرها المجهور الزّاي.

6.1.1- إبـــدال الشّيـــن صادا:

أبدلت الصّاد من الشّين في كلام العرب، فقالوا: « فَقَشْتُ البيضة أَفْقُشُهَا فَقْشًا، وفَقَصتُها أَفْقُصُهَا فَقْصًا بمعنى واحد»[33]. وقالوا: « قَفَشْتُ الشّيء أَقْفَشُهُ قَفْشًا، وقَفَصْتُهُ أَقْفَصُهُ قَفْصًا: إذا جمعته »[34].

وكذلك قالوا لضرب من البُسْرِ ضعيف النّوى لا يَرْطُبُ: الشّيْشُ والشّيْصُ، والشَّيْصَاءُ و الشَّيْشَاءُ على نحو قول الشاعر[35]:

يَا لَكَ مِنْ تَمْرٍ وَمِنْ شِيْشَاءِ	يَنْشَبُ فِي المَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ

ومن أمثلة هذا الإبدال في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي قولهم:

صَجْرَة في شَجَرَة.

ويبدو أن ما برّر إبدال الشّين صادا هو التّقارب بين الصّوتين؛ فهما يتقاربان مخرجا من حيث كونهما شجريان، ويتفقان صفة إذْ كليهما صوتان مهموسان، ولمّا كان التّبادل أكثر ما يكون حين يشتد التّقارب بين الصّوتين أُذِنَ بأن الشّين بدل من الصّاد في قولهم صجرة بدلا من شجرة.

33 ـ الإبدال في ضوء اللغات السامية، ص 136، نقلا عن الإبدال والقلب في لهجة سيدي بلعباس، ص 84.

34 ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

35 ـ ينظر: لسان العرب، 300/3، مادة (شيص).

7.1.1- إبدال الصّاد سينـــا:

في هذا الوجه من الإبدال تسعفنا كتب اللّغة والنّحو فتمدّنا بمجموعة لا بأس بها من الكلمات التي تحوّلت فيها الصّاد سينا، فقد أورد عبد الصّبور شاهين: « أن أكبر نسبة بلغتها أمثلة الإبدال في اللّسان كانت بين السّين والصّاد، إذ بلغت 48 رواية »[36]. كما أورد المتأخرون من النّحاة واللّغويين أنّ الّذين اختلّ هذا الصّوت على ألسنتهم قوم من العجم وبعض العرب ممن خالطوهم، فكانوا يقولون: في نحو صابر: سابر، وفي صُبع سُبع.[37]

إلا أنّ هؤلاء الدّارسين لم يوضّحوا السّبيل الذي سلكته الصّاد في تحولّها إلى سين عند هؤلاء القوم، ويبدوا أنّ ما سوّغ ذلك هو أنّ الصّاد والسّين تتّفقـــان في كلّ شيء، إلاّ في كون الصّاد مطبقة مفخّمة مستعلية والسّين منفتحـــة مرققــة مستفلة ومن هنا فإنّ إدناء الصّاد من السّين يكون بإذهاب إطباق الأولى لتـــصير كالثّانية في كلّ شيء.[38] وهو ما ذهب إليه سيبويه حين قال:« أن السّين كالصّاد في الهمس و الصّفير و الرّخاوة»[39]

ومن أمثلة هذا الإبدال في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي قولهم:

سَارِيجْ في صِهْرِيجْ.

مْقَس في مِقَـــص.

---

[36] - أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط1، 1408هـ - 1987م، ص 292.

[37] - ينظر: المفصل، ابن يعش، 10/ 128، نقلا عن ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري مخطوط رسالة دكتوراه دولة في اللغة العربية، إعداد المهدي بوروبة، إشراف د.زبير دراقي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان، 1422هـ- 1423هـ-2001م- 2002م.

[38] - ينظر: اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص 54.

[39] - الكتاب،أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبز، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل للطباعة، الفجالة (مصر)، ط2، 1402هـ-1982م، 481/4.

حيث أبدلت الصّاد إلى نظيرها المرقق السّين، وعلّة ذلك هو قرب مخرج الصّاد من السّين؛ فالسّين تتشكّل بأن يندفع الهواء مارّاً بالحنجرة فلا يحرّك الوترين الصّوتين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج إذ يلتقي طرف اللّسان بالثّنايا السّفلى أو العليا فيكون بينهما مجرى ضيّق جدّا يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصّفير[40]، أما الصّاد فيحدث مثل حدوث السّين إلا أنّ الجزء الحابس من اللّسان فيه يكون أيبس حتى يطبق اللّسان أو يكاد يطبق على ثلثي السّطح المفروش تحت الحنك.[41]

7.1.1- إبدال الضّاد دالا :

جعلت العرب صوت الضّاد من خصائص لغتها حتى شاع عنهم قول النّاطقين بالضّاد، بيد أنّ في نطقها اختلافا يطلعنا على ما قال فيها جمهور القدامى و على رأسهم سيبويه حين حدّدها من أوّل حافّة اللّسان وما يليها من الأضراس[42] وما قالوا فيها المحدثين بأنها من الأصوات التي أصابها التّغير من حيث المخرج والصّفة، بعد أن كانت الصّوت الوحيد الذي لم يُقابل بنظير له ـ وهذا ما أكّده اللّغويون القدامى ـ أصبح هو الصّوت المناظر للدّال، إذ لافرق بينه وبين صوت الدّال سوى أنّ الدّال صوت مرقق.[43]

والواقع أن الضّاد هو من الأصوات التي لم تسلم من التّغيّر سواء في النّطق الفصيح أو اللّهجي، إذ من الصّعب نطقه بشكل صحيح، وهذا ما أشار إليه طائفة

---

40 - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة (مصر)، ط 4، 1971م، ص 77.
41 - ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان، ويحي مير علم، تقديم و مراجعة، شاكر الفحام، أحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (سوريا)، د.ط، د.ت ، ص 77.
42 - ينظر: الكتاب،4/ 432
43 -ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص164.

من اللّغويين حين رأوا بأنّ نطق الضّاد عسير وأنّه ليس في طوق عامّة العرب، فهو رسم قد طُمِسَ وأثر قد دُرس من ألفاظ النّاس خاصّتهم وعامّتهم، حتى لا تكـــاد ترى أحدا ينطق بضاد ويخرجها من مخرجها الحاذق الثّاقب إذا كتب وقرأ القرآن لا غير.[44]

ومن نماذج هذا الإبدال قول فلاّحي مدينة الرّمشي:

مَدْمَدْ في مَضْمَدْ، وهو آلة للحرث.

8.1.1- إبدال القـــاف جيمـــا قاهرية:

وردت هذه الظّاهرة في اللّهجات العربية القديمة، حيث ذكرت المصادر أن قبيلة تميم آثرت الگاف دون القاف.[45]

ومن أمثلته عند هؤلاء الفلاّحين قولهم:

گَادُوم في قَادُوم.

يَزْگي في يَسْقِي.

يَنْگل في يَنْقُل.

الگَمْح في القَمْح.

السَاگْيَة في السَّاقية.

يَنْگُش في يَنْقُشُ.

ولعل ما سوّغ إبدال القاف جيما قاهرية أن كلاًّ منهما صوتان مجهوران

[44] ينظر: اللهجات العربية القديمة، إبراهيم السامرائي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1994م، ص175، وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان، أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصلقي، قدم له وقابل مخطوطاته و ضبطه، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1410هـ-1980م، ص 66.

[45] - ينظر: الصاجي في فقه اللغة، ص 54.

شديدان، فالقاف كما وصفها ابن خلدون هي :« عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى، و هم ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي، بل يجيؤون بها متوسطة بين الكاف والقاف»[46]. و هم لذلك يؤثرون الگاف بدلا من القاف.

لكن ليس معنى هذا أنّنا نعدم سماع صوت القاف تماما عند أهل المنطقة، و إنّما نجده محقّقا في الكثير من الأحيان كقولهم: قَادُوس وسَقّايَة (و هي الحنفية)...و غير هما كثير.

وفي كلتا الحالتين تعدّ القاف من الأصوات التي عانت كثيرا من التّغيّرات التّاريخية في اللّغة العربية.[47]وهو رأي أثبتته آراء الكثيرين من علماء اللغة.

9.1.1- إبدال النّون ميما:

اشترط أهل اللّغة في إبدال النّون ميما أن تكون ساكنة، وأن تأتي بعدها الباء سواء كانتا في كلمة واحدة أو في كلمتين، كأن نقول مثلا عَمْبَر في عَنْبَر[48] و مَمْبَر في مِنبَر، وامْبَعَثَ في انْبَعَثَ ،كما ورد في قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾[49] و قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

---

[46] - المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، صلاح الدين صالح حسنين، دار الإتحاد للطباعة ، مصر، ط1، 1991م،ص 145- 146.

[47] - ينظر : مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف ، بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، دارالكتب العلمية، بيروت (لبنان)، د.ط، د.ت، ص 9.

[48] - ينظر : بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط 2، 1407هـ - 1988م،ص 9.

[49] - الآية: 12 من سورة الشمس.

المُرْسَلُون﴾[50].

وحول هذا الإبدال ما ذكره هاشم الطعان في قولهم بكّة و مكّة، فقال:«وهما في الواقع تسمية واحدة وليس هذا الاختلاف اختلافا بالمعنى المفهوم وإنّما هو لهجة من لهجات القبائل تضع الباء في مكان الميم فتنطق بالباء بدلا من الميم...ومعروف أنّ هذا الإبدال موجود في لغات العالم تجيزه القواعد الصّوتية بين سائر حروف الشّفة الّتي منها الباء والميم».[51]

ومما جاء على هذا النّسق في منطوق فلّاحي مدينة الرّمشي قولهم:

مَمْبَرْ في مِنْ بَرّ أي من الخارج.

مْبَالِي في نْبَالِي أي وضع التّبن على شكل بالات مضغوطة.

ولعلّ ما سوّغ إبدال النّون ميما هو الثّقل في النّطق، فالنّون تستثقل عند الباء لما بينهما من تباين في الصّفة، كون النّون متوسّطًا يخرج عن طريق التّجاويف الأنفية و الباء شديد يخرج عن طريق الشّفتين، الأمر الّذي دعا إلى إبدالها(إذا جاورت الباء مجاورة مباشرة) صوتا وسطا بين النّون والباء وهو الميم. فالنّون في هذه الحالة تفقد مخرجها ولكن لا تفقد صفتها الأنفية،[52] هذا ما أكّده الدّكتور الشّايب في قوله :«كما أنّ المجيء بالميم مكان النّون المشكّلة بالسّكون متى وقعت قبل الباء ، هو أيضا لتقليل الجهد في النّطق، نظرا إلى البعد الشّاسع بين مخرج النّون ومخرج الباء إلى الحدّ الّذي يصل فيه الوضع إلى التّناقض بينهما».[53]

---

50 ـ الآية: 52 من سورة يس .

51 مقدمة في علم اللهجات، تأثر العربية باللغات اليمنية، هاشم الطعان، دار وهران، د.ت،د.ط،ص27

52 ـ ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 74.

53 ـ أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 1425هـ - 2004م،ص 64.

10.1.1- إبدال اللاّم نونا:

من صور هذا الإبدال ما جاء في قول إبراهيم أنيس: « جمع ابن السّكيت (ت244هـ) نحو (300كلمة) من كلمات اللّغة العربية تميّزت هذه الكلمات بأن كل اثنين منها تعبّران عن معنى واحد ولا يختلف لفظهما إلاّ في حرف واحد مثل (التَّهْتَان والتَّهْتَال)، وكلّ منها تعني سقوط المطر،و لا يختلف اللّفظ إلاّ في أن النّون في الأولى حلّت محلّ اللاّم في الثّانية»[54]، كما أورد الزّجّاجي أيضا قولهم: جبريل وجبرين والسَّليطْ والسَّنِيطْ ولَعَلَّكَ ولَعَنَّكَ.[55]

وممّا يمكن إدراجه أيضا في هذا المنحى ما جاء به ابن قتيبة في قوله:« شَتْلُ الأصابع وشَتْنُ»[56].

وما يقابل هذا النّوع في مدوّنتنا هو قول الفلاّحين: الخُرْطَان في الخِرْطَال.

ولعلّ سبب إبدال اللاّم نوناً يعود إلى التّقارب في المخرج من جهة والوضوح السّمعي من جهة أخرى، فلو تتبّعنا مخرج كلّ منهما لوجدنا أن اللاّم تتكوّن باندفاع الهواء من الحنجرة فيتحرك الوتران الصّوتيان، ثم يتّخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم أو من كليهما، فيتّصل طرف اللّسان بأصول الثّنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرّب من جانبه [57]. والنّون تكاد تتشكّل بالطّريقة نفسها إلاّ أنّ الهواء في النّون إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى

---

[54] - من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 53.
[55] - ينظر: الإبدال و المعاقبة و النظائر، ص 93.
[56] - أدب الكتاب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرح و تقديم علي ناعور، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1408هـ- 1988م،ص 316.
[57] - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 65.

الحنّك الأعلى فيسدّ بهبوطه فتحة الفم ويتسرّب الهواء من التّجويف الأنفي،[58] لذلك لم يكن من الغريب في إبدالهم اللاّم نوناً، فقالوا خُرْطَان بدلا من خرْطَال.

وبهذا نكون قد أتينا على ذكر معظم صور الإبدال التي مسّت أصوات منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، وكما اتّضح لنا تكاد تكون كل صورة من هذا الإبدال لها ما يقابلها في اللّهجات العربية القديمة، وهذا دليل على أن اللّهجات العربية الحديثة ما هي إلاّ امتداد للقديمة وتالية لها.

1.2- القلب:

من المتعارف عليه أنّ القلب ظاهرة صوتية تطرأ على الكلمة فيتبادل فيها الصّوتان مكانيهما، فيأخذ كلّ واحد منهما مكان الآخر دون الإخلال بالمعنى، يقول ابن السكيت: « القلب هو تغيير وضع حروف الكلمة بالتّقديم والتّأخير مع بقاء المعنى واحد في الكلمتين كاضْمَحَلّ وامْضَحَلّ»[59].

ولهجة مدينة الرّمشي (لاسيما منطوق الفلاّحين) لم تسلم هي الأخرى من هذه الظّاهرة، وهو ما يبدو واضحا من خلال مجموعة المفردات التي سمعناها أثناء تحاورنا مع أهل المنطقة، لاسيما فيما يخصّ الحركات التي لمسناها تتردّد كثيرا في منطوق هؤلاء الفلاّحين.

وفيما يلي سنوضّح صور القلب التي مسّت حركات هذا المنطوق مستعينين في ذلك بما توصّل إليه القدامى من آراء تؤيّد ما أوردناه من أمثلة.

58 - ينظر : المرجع السابق، 67.

59 - إصلاح المنطق، ابن السكيت، شرح و تحقيق أحمد محمد شاكر عبد السلام محمد هارون، دار المعارف القاهرة (مصر)/ ط 4، د.ت، ص 60.

1.2.1- القلب بين الحركات الخلفية والأمامية:

من قبيل هذا النّوع ما ذكره صاحب المخصّص، حين أورد أنّ العرب تقول: فَمْ وفُمْ، وذكر أن الشُّهْدَ بالضم لغة أهل العالية، وبالفتح الشَهْدَ لغة تميم، وهو العسل ما لم يعصر من شمعه[60].

ومن أمثلة هذه الصّور ما نجده في القرآن الكريم من خلال قراءات القـرّاء التي تختلف بحسب اختلاف لغة القارئ التي اعتاد عليها، وهذا دليل على أنّ القرآن الكريم اشتمل على أنواع كثيرة من نطق اللّهجات العربية القديمة لكلمات بعينها، من ذلك ما جاء في قراءة حمزة والكسّائي وعاصم في قوله تعالى: ﴿ سَدًّا ﴾[61] بفتح السّين في حين قرأ الباقون﴿ سُدًّا﴾ بالضم[62].

2.2.1.أ- *قلب الضّمة فتحة*:

ورد هذا القلب في منطوق فلاحي مدينة الرّمشي في قولهم:

اللَّقْمَة في اللُّقْمَة وهو الفَسْل: قضيب الكرم وهو ما أُخذ من أمّهاته ثم غرس[63].

الشَّبَّاك في الشُّبَّاك.

تطوّرت الضّمة إلى فتحة، وذلك بحثا عن السّهولة في النّطق، فالضّمة كما هو معروف حركة خلفية وتحتاج إلى جهد عضلي أكثر لأنها تتكون بتحريك أقصى اللّسان، في حين أنّ الفتحة ينبسط فيها اللّسان ويحتلّ أسفل وضع ممكن،

---

60 - ينظر: المخصص، أبو الحسين علي اسماعيل المعرف ابن سيده، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (مصر)، 76/15.

61 - قال تعالى: ﴿ وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِم سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُون﴾ الآية 9، سورة يس.

62 - ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبد الراجعي، دار المعارف، د.ط 1969م، ص 144.

63 - ينظر: القاموس الزراعي فرنسي – عربي، قام بمراجعته النص العربي مصطفى حداد،المجلس الدولي اللغة الفرنسية، دار لحد بيروت (لبنان)، د.ط 1985م، ص 243.

الأمر الّذي جعلهم يستبدلونها بالفتحة التي هي أخفّ وأسهل باعتبارها حركة أمامية ولا تكلّف مجهودا.

وفي مثل هذا النّوع من القلب ذكر ابن قتيبة (ت 276هـ) في باب (ماجاء مضموما و العامّة تفتحه) أنّه يقال : « على وجهه طُلاَوَةٌ بضم أوّله، و هي ثياب جُدُدٌ، بضم الدّال الأولى، و لا يقال جُدَد –بفتحها- ... وهذا دقيق حُوَارِيٌّ – بضم الحاء – وهو البياض وهي الجُنْبُذَةُ – بضم الباء- والعامّة تفتحها، و هي ما ارتفع من الشّيء»[64].

1.2.2.ب- ***قلب الفتحة ضمّة*** :

جاء في قول الفلّاحين: خُوخْ بدلا من خَوْخْ، بحيث قلبت الفتحة ضمّة لتنسجم مع حركة الخاء بعدها.

وقد ورد على شاكلة هذا النّوع في المخصّص:«السُّمْ بالضّم لغة أهل العالية، وبالفتح السَّمْ لغة تميم»[65].

1.2.2 جـ- ***قلب الكسرة ضمّة*** :

سمعت هذا القلب في قول الفلّاحين:

مُحْرَاث في مِحْرَاث.

النُخَّالَة في النِّخَالَة بتشديد الخاء لما يسقط عند نخل الدّقيق والصّواب تخفيفها، لأنها من باب الفضلات التي جاءت على

---

[64] ـ أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص 258.

[65] ـ المخصص: 76/15.

وزن (فعالة) بتخفيف العين.[66]

حُمُّصْ في حِمْصْ.

الخُرْطَان في الخِرْطَال.

ولعلّ ما سوّغ انتقال الكسرة إلى ضمّة هو تلك القرابة الشّديدة بين هاتين الحركتين، ذلك أنّ كلاّ من الكسرة والضّمة في حين النّطق بهما يبلغ اللّسان أقصى ما يمكن أن يصل إليه من صعود نحو الحنك، يقول رمضان عبد التّواب في هذا الشّأن: وهذا الفرق لا يعدو أن يكون في حركة اللّسان، مع الكسرة تتصعّد مقدمّة اللّسان نحو الأعلى (وسط الحنك) أمّا مع حركة الضّمة فتصعّد مؤخرة اللّسان نحو سقف الحنك.[67]

وبالتّالي فالمخرج المشترك بين هاذين الصّائتين هو الّذي جوّز حلول انتقال الكسرة محل الضّمة، هذا ما أثبتته ظواهر التّطور الصّوتي في اللّغات الإنسانية بما فيها من لهجات، أنّ الأصوات المتّحدة النّوع القريبة المخرج تميل بطبعها إلى التّناوب وحلول بعضها محل بعض.[68]

2.2.1- القلب بين الحركات الأمامية:

و نجد لهذا النّوع من القلب مواضع كثيرة في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، وذلك لما في الكسرة من ثقل يجعلهم يستبدلونها بالفتحة التي هي أخفّ

---

[66] - ينظر: الجمانة في إزالة الرّطانة، بحيث في لغة التّخاطب في الأندلس وتونس لبعض علماء القرن 19هـ، مهد له و حققّه علي حسن حسني عبد الوهاب الصماوجي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (مصر)، د.ط، 1953م، العدد 9، ص 18.

[67] - ينظر : مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللّغوي، رمضان عبد التواب، مكتب الخانجي (مصر)، دار الرفاعي بالرياض، مصر، ط1، 1403هـ- 1985م، ص 92-93.

[68] - ينظر: فقه اللغة، عبد الواحد وافي، ص 141.

وأسهل في النّطق.هذا ما أثبتته ملاحظات القدماء من مؤلّفي اللّغة العربية حين عزوا الكثير من التّطورات الصّوتية التي تمس اللّغة إلى ما سمّوه بثقل الصّوت أو خفّته، فنسبوا الخفّة إلى الفتحة والثّقل إلى الكسرة[69]، ومن أمثلته:

مَنْجَل في مِنْجَل.

مَشْطَة في مِشْط.

مَنْشَار في مِنْشَار.

مَذْرَ في مِذْرَى.

الخَلْفَة في الخِلْفَة.

السَّلْكْ في السِّلْك.

الصَّر في الصِّر[70].

وعلّة تطور الكسرة إلى فتحة يعود إلى سببين:

أوّلا: أنّ مخرج الكسرة أضيق ممّا يشكّل صعوبة في نطقها وبالتّالي يتضاعف عمل اللّسان، بعكس الفتحة التّي يكون اللّسان فيها مستويا في أسفل الفم، لذا نجدها تتّصف بصفة الإنفتاح وهي خاصّية تميّزها عن غيرها.

ثانيا: أنّهما صوتان متقاربان من حيث المخرج فلا غرابة إذن من أن يميل هؤلاء المتكلّمون نحو الفتح باعتباره أسهل ولا يكلّف مجهودا أكثر أثناء النّطق به.

ونجد لمثل هذه الظّواهر من القلب ما يؤيّدها من أمثلة في ثراتنا القديم، فقد

---

69 ـ ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 130.

70 ـ الصّر : برد يضرب النبات و الحرث، ينظر:مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادرالرازي، عني بتربية محمود خاطر، مراجعة لجنة من مركز تحقيق التراث، دار الكتب المصرية مصر، د.ط، د.ت، ص 361، مادة (صرر).

ذكرا بن مكّي الصّلقي (ت 501هـ) في (باب ماجاء فيه لغتان استعمل العامّة أفصحها)، أنّهم يقولون: مَا دِلاَلَتُكَ عَلَيَّ بكسر الدّال، والدَّلاَلَة بفتحها[71].

وجاء في المخصص: نَعْجَة ونِعْجَة بفتح النّون وكسرها[72]، كما جاء في الجمهرة أيضا: «الدِّلصُ من كلّ شيء الأملس البراق وكذلك الدِّلاَصُ»[73].

ولعلّ جنوح المتكلّمين إلى استعمال الفتح في مثل هذه الحالات ليس ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضليّ، و الميل إلى السّهولة و اليسر التي يلجأ إليهما الإنسان في معظم الظّواهر الاجتماعية.

هذه هي أهمّ ظواهر القلب التي وردت في كلام فلاّحي مدينة الرّمشي، وهي كما بدا لنا تشبه إلى حدّ كبير صور القلب التي عرفتها اللّهجات العربية القديمة، كما أنّ اختلاف القبائل العربية القديمة في إيثارها لصائت دون آخر لتستقرّ عليه في نطقها لا يزال مسموعا إلى عصرنا هذا ممّا يؤكّد أن حبل الوصال متين بين اللّهجات العربية القديمة والحديثة.

3.1- المماثلة Assimilation:

لا شكّ أن الكلام أصواتا كان أو مفردات يخضع لمبدأ التّأثّر وهذا ما نلاحظه من خلال مجاورة الأصوات لبعضها البعض ممّا ينتج عنه نوع من المشابهة فيما بينها، وهو ما اصطلح عليه علماء اللّغة بالمماثلة.

فالمماثلة هي ظاهرة صوتيّة تتحقّق في حالة اجتماع صوتين متناقضين من حيث الصّفة في كلمة واحدة، كالجهر والهمس، والإطباق والانفتاح، فيتعذر على

71 - ينظر : تثقيف اللّسان، وتلقيح الجنان، ص 197.
72 - ينظر: المخصص، 34/14.
73 - جمهرة اللّغة، ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، دار صادر بيروت (لبنان)، ط1، 1345هـ، 274/2.

النّاطق تحقيق هاتين الصّيغتين، الأمر الّذي يؤدّي به إلى إزالة صفة أحد الصّوتين إيثارا منه للتّسهيل وتحقيق الإنسجام.

والمماثلة مصطلح حديث تناوله القدامى باسم المضارعة، وهو ما نجده في قول سيبويه: «هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه».[74]

على أنّ درجة هذا التّأثر تختلف من صوت إلى آخر، ومن لغة إلى أخرى، من ذلك مثلا: تماثل بين الإطباق والانفتاح؛ بحيث نجد أن الطّاء والظّاء والصّاد- وهي أصوات مطبقة مفخّمة- لا تتناسب مع تاء الافتعال التي هي منفتحة مرقّقة، ممّا يوجد صعوبة في النّطق أثناء الانتقال من المفخّم إلى المرقّق، فيحمل المتكلم أثناء ذلك على تفخيم المرقّق من أجل إحداث تناسب وانسجام بين الصّوتين فيبدل تاء الإفتعال طاء، فيقول (اضطلم في اظتلم، واطّلع في اطتلع واضطرب في اضترب واصطدم في اصتدم) وهو ما ذهب إليه كل من سيبويه عندما قال: « أما الّذي يضارع به الحرف الّذي من مخرجه فالصّاد السّاكنة إذا كانت بعدها الدّال ونحو ذلك : مصدر وأصدر والتّصدير».[75] والفرّاء (ت، 207هـ) بقوله:« سمعت بعض بني عقيل يقول: عليك بأبوال الظّباء فاصّعطها فإنها شفاء للطّحل، فغلّب الصّاد على التّاء ،وتاء الافتعال تصير مع الصّاد والضّاد طاء، كذلك الفصيح من الكلام كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾[76]، ومعناها افتعل من الضّرر».[77]

---

[74] - الكتاب، 477/4.

[75] - المصدر نفسه، 4/ 477.

[76] - الآية: 3 من سورة المائدة.

[77] - معاني القرآن، أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق، د. فايز فارس، دار البشير و دار الأمل، ط2، 1982م، 216/1، نقلا عن ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين، ص 169.

ونجد المازني هو الآخر يبدي رأيه في التّعامل مع تاء الافتعال عندما تتنافر مع فائه، فيقول : « هذا باب ما تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها، ولا يـتكلم علـى الأصل البتّه... وذلك أنّك إذا قلت (افتعل) وما تصرف منه، وكانت الفاء صاداأو ضاداأو طاءا، فالتّاء فيه مبدلة، وذلك قولك: اصطبر و اضطرب ...فهذا الكلام الصّحيح» [78].

وتماثل آخرين بين الجهر والهمس، ونجذ ذلك بين الدّال والذّال والزّاي – وهي أصوات مجهورة – تتنافر مع تاء الافتعال لأنّها مهموسة فيجد النّاطق صعوبة في الانتقال من جهر إلى همس فيعمل على جهرالمهموس حتّى يزيل هذه المـشقة ويحقّق الانسجام فيقول (ازدهر في ازتهر، و ادّعى في ادتعى، واذكر في اذتكـر). يقول الفرّاء في هذا الشّأن: « ولا تنكرنّ اختيارهم الحرف بين الحرفين فقد قالوا ازدجر ومعناها ازتجر، فجعلوا الدّال عدلا بين التّاء والزّاي، ولقد قال بعـضهم : مُزّجر فغلّب الزّاي» [79].

ففي هذه الحالة (أي اجتماع الجهر والهمس) نجد دائما أن الصّوت المهموس يضحّي بهمسه لصالح مجاوره المجهور حتّى يتوافق مع الصّفة التي تطلّبها اجتمـاع هذين الصّوتين.

ومن قبيل إبدال التّاء دالا ما أورده الفرّاء في تحليله للفظة(اذّكَرَ) من قولـه تعالى: ﴿وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّة ﴾ [80]، حيث قال أصلها اذتكر فاجتمعت الذّال والتّاء في

---

[78] ـ المنصف، شرح أبي الفتح عثمان ابن جني النحوي لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة (مصر)، ط1، 1373هـ -1954مـ، 324/2.

[79] ـ المصدر السابق، 216/1،نقلا عن ظواهر التشكيل الصوتي عن النحاة واللغويين، ص 168.

[80] ـ من الآية:46 من سورة يوسف.

كلمة واحدة ومخرجهما متقاربان، وأرادوا أن يُدغموا، والأول حرف مجهور، وإنما يدخل الأول في الآخر والآخر مهموس فكرهوا أن يذهب منه الجهر فجعلـوا في موضع التاء حرفا من موضعها مجهورا وهو الدّال لأنّ الحرف الّذي قبلها مجهور.[81]

وكما أن التّماثل يكون بين الصّفات، فكذلك يكون بين المخارج بالتّقديم أو التّأخير، وذلك بحثا عن الانسجام والتّوافق بين الأصوات، هذا ما ذهب إليـه رمضان عبد التّوّاب بقوله:« إذا اجتمع في الكلمة صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين، ويتّصف كل منهما بصفة تناقض صفة الآخر، حدث بينـهما شدّ وجذب كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ،ويجعله يتماثل معـه في صفاته كلها أو في بعضها».[82]

وفي جميع الأحوال تنقسم المماثلة إلى قسمين:

1.3.1- مماثلـة تقدميـة:

وفيها يتأثّر الصّوت الثّاني بالأول، أو هي كما عبّر عنها عبد القادر عبد الجليل، اتجاه تأثير يبث من الصّوت الأوّل إلى الصّوت الثّاني، فينتج عن ذلك تماثل بين هذين الصّوتين وهو ما رأيناه من خلال تأثّر تاء الافتعال بالصّاد والضّاد والطّاء. فالعربية في مثل هذه الحالات تعمل على استنفار طاقتها لإعادة التّوازن بين أركان الكلمة حتى تنساب أصواها متواصلة في رحلتها التّقليدية.[83] فتلجأ إلى إزالة عدم التّوافق بالإتيان بأصوات لتتماثل مع أصول الكلمة ككل، كأن تأتي بالصّاد

[81] - ينظر: المرجع السابق، 366/2.
[82] - التطور اللغوي علله، و قوانينه، ومظاهره، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1404هـ - 1983م، ص 22.
[83] - ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 285.

في صيغة افتعل لما تمتاز به من قوّة الجرس والتّفخيم والصّفير أو بالضّاد لما تمتاز به من جهر واستطالة وتفخيم.

وتنقسم المماثلة التقدمية هي الأخرى إلى قسمين:

1.3.1.أ- ***مماثلة تقدّمية تامّة:***

وفيها يدعو الصّوت المؤثّر في الكلمة مجاوره أوممَاسّه إلى الاتّحاد معه صفة ومخرجا، فيفنى فيه فناء تامّا مثل: ادّعى التي أصلها ادتعى، ففي هذه الحالة كل من الصّوتين المؤثّر والمتأثّر متّصلان ببعضهما البعض دون فاصل.

1.3.1 ب- ***مماثلة تقدّمية جزئية:***

وهي عبارة عن تأثير يكون بين صوتين متنافرين صفة ومخرجا، فيحاول الصّوت الفاعل جلب الصّوت الضّعيف حتّى يتّحد معه في الصّفة والمخرج، فيميل المتكلّم إلى إيجاد نوع من الانسجام والتّوافق بين هذين المتخالفين، وذلك تذليلا للعملية العضوية المنتجة للصّوتين ثم الاستقرار على مركب صوتي ميسّر للنّطق يقتصر في إحداثه على أقلّ جهد ممكن،[84] كأن نقول اضطجع في اضتجع، حيث أبدلت التّاء طاء امتثالا لتأثير الطّاء لما فيها من تفخيم وإطباق واستعلاء وجهر، وهي ميزات امتازت بها الطّاء دون التّاء ممّا جعلها تؤثر في التّاء، وهذا التّبادل الّذي تمّ بين التّاء والطّاء جاء من أجل خلق نوع من الانسجام في الكلمة وحتّى يتمكّن المتكلّم من نطقها بسهولة.

ومن قبيل هذا التّأثر في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي قولهم:

[84] - ينظر:الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 185.

مَهْرَاز في مِهْرَاس، حيث أثّرت الرّاء بما فيها من جهر في السّين المهموسة فقلبتها إلى نظيرها المجهور وهو الزّاي.

2.3.1- مماثلة رجعية:

وفيها يكون اتّجاه التّأثّر عكسيا، فيؤثّر الصّوت الثّاني في الأوّل، وهو ما ذهب إليه رمضان عبد التواب بقوله في مثل هذه الحالة أن خطّ التّأثير يتّجه من الصّوت الثّاني، أي من فاء الفعل نحو الصّوت الأوّل المتمثّل في تائه، التي تبدل بعد تسكينها صوتا من جنس مماسّها، ثم تفنى فيه فناء كليّا تيسيرا للنّطق واقتصارا على الحدّ الأدنى من الجهد المطلوب بذله في عمليّة إنتاج هذا الصّوت.[85]

وهذا النّوع من المماثلة هو بدوره ينشطر إلى شطرين : تام وجزئي.

2.3.1 أ- *مماثلة رجعية تامّة*:

كأن نقول يَتَثَاقَلُ التي أصبحت يَثَّاقَلْ، بحيث يصعب على المتكلم النّطق بالتّاء والثّاء متتاليين، ممّا اضطرّه إلى تسكين التّاء حتى تتّصل اتّصالا مباشرا بالثّاء، ثم تدغم في الثّاء الّتي هي أقوى منها.

وهذه هي أهمّ المراحل التّي مرّت بها:

يَتَثَاقَلُ ⇐ يَتْثَاقَلُ ⇐ يَثْثَاقَلُ ⇐ يَثَّاقَلُ

2.3.1 ب- *مماثلة رجعية جزئية*:

و فيها يدعو الصّوت القوي المؤثّر الصّوت الّذي يؤثّر فيه إلى التّقارب منه صفة دون أن يتّحد معه، وذلك طلبا لإزالة ما بينها من تنافر كأن نقول: زِرَاط في سِرَاط.

---

[85] - ينظر: مجلة التراث العربي، العددان 15- 16، ص 260، نقلا عن ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين، ص 193.

ومن أمثلة هذا النوع من المماثلة ما نجده في قول فلاّحي مدينة الرّمشي في: يَسْقِي التي أصبحت عندهم يَزْگِـي، حيث تحوّلت السّين إلى زاي خضوعا لتأثير القاف المجهورة التي استدعت أن يكون مجاورها مجهورا مثلها.

وبهذا نكون قد أتينا على ذكر أهمّ أنواع المماثلة التّي أصابت مفردات منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي وهي كما رأينا أنواع لها ما يقابلها في اللّغة العربية الفصحى واللّهجات العربية القديمة.

4.1- المخالفة: Dissimilation

سبق وأن أشرنا إلى أنّ الأصوات تخضع لمبدأ التّأثير والتّأثّر فيما بينها فتلجأ اللّغة إلى تعديل هذا التّأثير بإحدى الطّرق التّي من شأنها تعديل الأصوات سالكة في ذلك أسهل السّبل، ومن بين هذه الطّرق نجد المخالفة التي تتّخذها اللّغة كبديل للمماثلة قصد تحقيق هدفها المنشود المتمثّل في درء الثّقل ورأب كلّ تصدّع يمسّ أبنيتها من جرّاء التّماثل، وذلك سعيا منها إلى إحداث تكييف يعيد للوحدة اللّغوية توازنها أثناء مسيرتها في التّيار الكلامي.[86]

وتعدّ المخالفة من الظّواهر الصّوتية التّي تعود إليها اللّغة للتّخفيف من ثقل النّطق بالمتماثلين، إلاّ أن نفوذها يشغل مساحة لغويّة أقلّ من تلك الّتي تملؤها ظاهرة المماثلة لكن هذا لا يعدم وجودها الضّروري في تحقيق التّوازن والحدّ من فاعلية المماثلة،[87] فهي تعديل الصّوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت

[86] ـ ينظر: علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، عمان(الأردن)، ط1، 1998م،ص 150.
[87] ـ ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، مطبعة عالم الكتب القاهرة(مصر)، ط3، 1985م،ص 330.

مجاور، بحيث يكون تعديل عكسي يؤدّي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصّوتين فينقلب أحدهما إلى صوت مغاير.[88]

وهذه المخالفة التّي تصيب الصّوامت تشمل الصّوائت أيضا بشقّيها الطّويل والقصير، وهي نوعان:

4.1 أ- المخالفة بين الصّامتين المتماثلين:

مثل هذا النّوع ورد قديما في الكتب العربية التي يتتابع فيها مثلان فاستثقلت العربية الجمع بينهما، فعملت على إبدال أحدهما صوتا آخر من غير جنس الصّوت المضعّف في الكثير من الأحيان، إمّا صوت من الصّوائت الطّوال أو صائت من أشباهها، وإمّا صوت من الأصوات المائعة، وهي كلّها لا يكلّف نطقها مجهودا عضلياّ، كأن نقول مثلا:

تَمَطّى في تَمَطَّطَ.

تَقَضّى في تَقَضَّضَ.

ولعلّ سبب هذا التّخالف هو القضاء على ثقل المتماثلين، فأبدلوا أحدهما ألفا لأنها من أيسر الأصوات وأخفّها على اللّسان، وهو ما أكّده سيبويه بقوله: « إنما خفّت الألف هذه الخفّة لأنهّا ليس منها علاج على اللّسان والشّفة ولا تحرّك أبدا فإنّما هي بمنزلة التّنفس ».[89]

وهناك أحيانا أخرى تخالف فيها العربية بين المتماثلين حين يثقل عليها نطقها بإبدال أحدهما ياء، و هذا النّوع من المخالفة كاد يشمل تقريبا الأصوات

[88] - ينظر: المرجع نفسه، ص 328، و في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، راغب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام العراقية، بغداد (العراق)، ط1، 1984م، ص 283.
[89] - الكتاب، سيبويه، 336/4.

كلّها ومن مثل ذلك:

دِينَار في دِنَّار.

قِيرَاط في قِرَّاط.

دِيبَاج في دِبَّاج.

ومن أمثلته عند فلاّحي مدينة الرّمشي قولهم:

قَصِّيت في قَصَصْت

ذَرِّيت في ذَرَرْت

حَشِّيت في حَشَشْت

لَمِّيت في لَمَمْت

ويبدو أنّ إبدالهم الياء في هذه الحالة يعود إلى طواعيتها وليونتها من جهة وإلى سهولة نطقها من جهة أخرى، ففيها تتّخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع من الكسرة تاركة هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة، ويتّجه الهواء وسط الحنك فتنفرج الشّفتان ويسدّ الطّريق إلى الأنف وتتذبذب الطّيّات الصّوتية وعندها يتشكّل صوت الياء.[90]

ومن أمثلة هذا النّوع ما ورد في قول سيبويه: « هذا باب ما شدّ فأبدل مكان اللاّم الياء لكراهية التّضعيف وليس بمطّرد، وذلك قولك: تَسَرَّيْت وتَظَنَّيْت»[91]

كما نجد أيضا في الكثير من الحالات أنّ العربية خالفت بين المتماثلين بإبدال

[90] - ينظر: فن الإلقاء، نجاة علي، ص 114.
[91] - الكتاب، 224/4.

أحدهما واوا، ولعلّ السِّر في إيثارها الواو، هو الفرار من استعمال ألسنتهم في وضع واحد ثم العودة إليه، ولما كان ذلك صعبا عليهم آثروا الاختلاف بين الصّامتين فأبدلوا الواو لما تتميّز به من خفّة وسهولة في النّطق.[92] فقالوا:

الجُوب في الجُبِّ.

المُوخ في المُخِّ.

العُوش في العُشّ.

والملاحظ ممّا قدّمناه من أمثلة التّخالف أنّ اللّغة العربية تلجأ دائما إلى الصّوائت الطّوال في فكّها لتوالي المثلين في بناء واحد، كما قد تلجأ أيضا إلى الأصوات المائعة لتحقيق الغاية ذاتها، فهي الأخرى (الأصوات المائعة، ل، م، ن) من أندى الأصوات وأصفاها لشدّة ارتفاع رنينها ووضوحها السّمعي، فهي تحتل المرتبة الثّانية بعد الصّوائت من حيث قوّة الرّنين في سلّم جسبرسن الّذي يتشكّل من ثماني درجات يبدأ بأضعف الأصوات رنينا لينتهي بأقواها.[93]

ويبدوا أنّ ما جعل العربية تستنجد بكلّ من هذه الحركات الطّويلة والأصوات المائعة في درء ثقل النّطق بالمتماثلين مردّه إلى تلك المشابهة التي تلتقي عندها المجموعتان، فهما متوافقتان في الكثير من الخواص الصّوتية أبرزها أنّ الأصوات المائعة (ل م ن ر) تتميّز باتّساع مجراها ممّا أدّى إلى قلّة احتكاكها ومن ثمّ ضعف الحفيف المصاحب لها، ولذلك لا يسمع معها أيّ نوع من أنواع الحفيف

[92] ـ ينظر: الأصوات العربية، دراسة في أصوات المد العربية، ص 284.
[93] ـ ينظر: المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، صلاح الدين حسنين، ص 23- 24.

مثال: إِنْجَاص في إجَّاص وفَرْطَحَ في فَطَّحَ.[94]

4.1 ب- المخالفة بين الصّائتين:

تستثقل العربية دائما أن تنطق بتوالي متماثلين في صيغة واحدة، سواء كانا هاذين المتماثلين صامتين أو صائتين،وهو ما ذهب إليه عبد القادر عبد الجليل حيث رأى أنّ الذّوق العربي يكره في الكثير من الأحيان الجمع بين صامتين من جنس واحد في كلمة واحدة كذلك ينفر من اللّفظ بمجموعة من الصّوائت ذات الطّبيعة الموحّدة[95].

كأن نقول شتّان أبوك وأخوك أي هما متفرّقان، فهو تثنية شتّ.[96] وهو ما أكّده أيضا سيبويه بقوله: « اعلم أنّك إذا ثنّيت الواحد لحقته زيادتان الأولى منهما حرف المد واللّين... يكون في الرفع ألفا...وتكون الزيادة الثانية نونا...وحركتها الكسر، وذلك قولك هما الرّجلان »[97].

إلاّ أنّ هذا النّوع من المخالفة لم أجد ما يمثّله في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي وعليه فقد اكتفيت بما ورد في تراث الفصحى.

5.1- المقطع La syllabe:

سبق و أن أشرنا إلى أن الأصوات في الكلام تتأثر بعضها مع بعض نتيجة تقاربها في المخرج، مما يعني تغيرّ خصائصها الصّوتية التي كانت تتّصف بها قبل دخولها التّركيب و مجاورتها لأصوات أخرى في عملية الكلام.

---

[94] - ينظر: حروف تشبه الحركات، مقال نشرة، إبراهيم أنيس في مجلة مجمع اللغة العربية، ص 16، نقلا عن ظواهر التشكيل الصوتي، عند النحاة و اللغويين العرب، ص 252.
[95] - ينظر: علم الصرف الصوتي، ص 149، و الأصوات اللغوية،عبد القادر عبد الجليل ، ص 294.
[96] - ينظر: التطور اللغوي مظاهر و قوانينيه و علله، ص 48.
[97] - ينظر: الكتاب، 1/17-18.

ورأينا كذلك أن الأصوات تتفاعل في العملية الكلامية، كأن يتجاورا صوتان مختلفان مخرجا أو متقاربان فينجذب كل منهما نحو الآخر، وبالتّالي تتغير الخصائص الصّوتية لكليهما أو لصوت دون الآخر، و ذلك عن طريق الإبدال أو القلب أو المماثلة، أو كأن يجتمع صوتان متنافران فتتبدل خصائصهما أو خصائص كل منهما عن طريق المخالفة أو سقوط أحدهما من النّطق نتيجة تأثّره بما هو أقوى منه.

فقد أثبتت تجارب اللّغويين أن الكلام لا يمكن أن يتألّف كله من أصوات طليقة فقط كأن نقول (آيْ وْيْ)، كما لا يمكن أن يتألّف أيضا من أصوات حبيسة فقط كأن نقول (شْفْحْشْد كْدْ زْقْتْ)، فهو إذن يتكون من حبيسات تتلوها طليقات تتلوها حبيسات وهكذا.... فالفم أثناء عملية النّطق ينفتح و ينغلق، و في انفتاحه تحدث الطّليقات و في انغلاقه تحدث الحبيسات[98]، فالتّأليف قائم أساسا على الفتح و الغلق و نوعيهما داخل جهاز التّصويت، و هو في تتابع دائم في إنتاج الكلام وحصول هذا كله بالنّطق المستمر للكلمة و إلى إيقاع صوتي مميز يجعل الكلام أجزاء؛ و يعرف هذا بالمقطع[99]. فهو بهذا يكون كما وصفه أحمد مختار عمر: « أصغر و حدة صوتية يمكن النّطق بها ويستطيع المتكلّم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة »[100].

غير أنّ التّعاريف الّتي طرقت باب المقطع لم تكد تجمع على مفهوم واحد،

[98] - ينظر: الوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص 254.
[99] - ينظر: أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة (مصر)، د.ط، 1416هـ- 1996م، ص 199.
[100] - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 240.

فمنهم من رأى بأنّه« تأليف أصواتي بسيط يتكوّن منه واحد أو أكثر من كلمات اللّغة، متفق مع إيقاع النّفس الطّبيعي، و مع نظام اللّغة في صوغ مفرداتها » [101]، و منهم من رأى بأنه أصغر وحدة صوتية يمكن أن تنفصل في تركيب الكلمة[102]، و منهم أيضا من أجمع بأن المقطع هو أصغر وحدة صوتية يمكن أن تنفصل في تركيب الكلمة[103].

فالمقطع يكون نتيجة خلق حركة في الرّئتين، فيندفع الهواء دفعة واحدة، فيخرج النّفس مكوّنا الأصوات من بينها هذه المقاطع التي يحسّها المتكلم و المستمع في آن واحد.

و الأصوات المكوّنة للمقطع وبالتّالي الكلام هي نوعين: أصوات اللّين أو العلل les voyelles و السّواكن أو الصّحاح les consonnes [104]. يقول كانتينيو في هذا الصدد :« يبتدئ المقطع بصوت أو عدة أصوات غالقة أو حاجزة أو منفجرة explosif ذات انفتاح متزايد، و يمر بمقدار أعلى من الانفتاح تمثله عادة حركة من الحركات، وينتهي بصوت أو عدة أصوات غالقة أو حاجزة للهواء implosifs ذات انفتاح متناقص و مثال ذلك " تراك" "Trac"» [105].

و يبدو أنّ هذه الآراء التي تعرّضت للمقطع سلكت في ذلك اتجاهين: الاتّجاه الصّوتي و الاتّجاه الوظيفي[106]، فأمّا عن الصّوتي؛ فقد استقرّ عند أتباعه أن

---

101 - مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث، تمام حسان، ص 112.

102 - ينظر: علم الأصوات، مالمرج برتيل، تعريب عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة (مصر)، د.ط، د.ت، ص 164.

103 - ينظر: علم اللغة بين القديم و الحديث، ص 112، و المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص 103.

104 - ينظر : أصوات اللغة، حامد هلال عبد الغفار، ص 199.

105 - علم الأصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، تونس، د.ط، 1966م، ص 191.

106 - ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي، بوروبة، ص 285.

الأصوات في ميلها إلى الصّفات الجامعة لها تبعا لما تتميّز به من جهر و وضوح سمعي، و هو جانب يلعب دورا كبيرا في تكوين البُنَى المقطعية[106]، ويرى مالمبرج أن الارتباط بالوحدات لتجمعها بالوحدة الأندى في السّمع و الأصفى[107]، و بهذا يكون للمقطع أصوات بنوعيها هو على جزأين أساسا:

أولهما: القمم؛ و هي أعلى ما يصل إليه الصّوت من الوضوح السّمعي، و ثانيهما: الوديان؛ و هي أقلّ ما يصل إليه الصّوت من الوضوح السّمعي[108].

و يمثل أصحاب الاتّجاه الصّوتي للمقطع بالشّكل الآتي:[109]

أعلى قمم الإسمـــاع

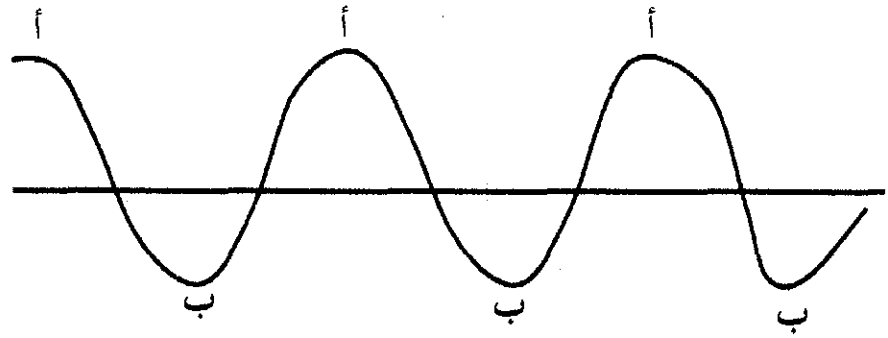

أدنى قمم الإسمـــاع

و أمّا عن الوظيفي؛ فيتمثّل أكثر في رأي سوسير الّذي يرى أن المقطع « هو الوحدة الأساسية التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم »[110].

---

[107] - ينظر: علم الأصوات، ما لمبرج، ص 157.
[108] - ينظر: الأصوات اللغوية، ص 159.
[109] - ينظر : دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار، ص 241.
[110] - محاضرات في الألسنة العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة مجيد النصر و يوسف غازي، الجوينة (لبنان)، د.ط ، د.ت، ص 57.

في حين هناك اتجاه آخر يدعى بالاتّجاه الفسيولوجي؛ حيث يرى أتباعه أنّه يقدّم هو الآخر تفسيرا لظاهرة حدوث المقطع، إذ يقع عند إحداثه شدّ متزايد في عضلات جهاز التّصويت، ثم يحذف بعد ذلك تدريجيا [111].

و يمثّل أتباع الاتّجاه للمقطع بالشكل الآتي :

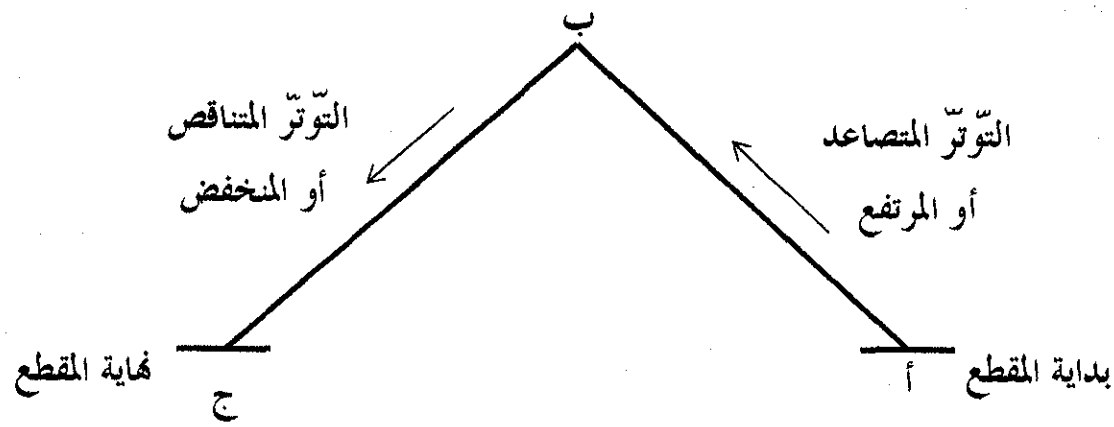

- يمثّل الخط (أ- ب) ارتفاع التوتّر في المقطع .
- و يمثّل الخط (ب –ج) انخفاض في التوتّر.
- وتمثّل النّقطة (ب) الذّروة في المقطع (أي قمّة الإسماع)[112].

2.5.1- أنـــواع المقاطـــع:

تختلف أشكال المقاطع تبعا لاختلاف اللّغات في أنظمتها الصّوتية، و طرق تشكيلها لبناها اللّغوية، و قد أحصاها علماء الأصوات في عشرة أنواع ترجع إليها مختلف اللّغات في أنسجتها المقطعية [113].

---

[111] - ينظر: علم الأصوات، مالمبرج، ص 161.
[112] - ينظر: الصوت اللغوي، مختار عمر، ص 247.
[113] - ينظر: الصوت اللغوي، ص 254، و مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص 110-111.

أمّا عن اللّغة العربية فيوجد فيها نوعان لخمسة مقاطع، وذلك لموقع كل من الصّوائت و الصّوامت عند طرف المقطع الأخير.

فأمّا النوّع الأول ؛ فهو المقطع المفتوح "Open" "Ouvert" و هو المنتهي بصائت وبه مقطعان[114].

أ- مقطع قصير مفتوح "La syllabe brève ": و يتكوّن من صامت و مصوّت قصير، ويرمز له بـــ (ص م)، و يأتي في نحو القاف وحركاتها (قِ) و الرّاء وحركتها (رِ) من فعلي الأمر " وقى ورأى".

صامـــت	+	مصوت قصيـــر
ق	+	-
ر	+	-

ب- مقطع طويل مفتوح :"La syllabe long " : ويتكوّن من صامت و مصوّت طويل، ويرمز له بـــ (ص مَ)، ويأتي في نحو: ها لضمير الإناث الغائب و كاَ من كلمة كاَتب.

صامـــت	+	مصوت طويـــل
هـــ	+	ا
ك	+	ا

[114] - ينظر:علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت (لبنان)، ط1، 1992م، ص 95.

و أمّا النّوع الثّاني؛ فهو المقطع المغلق أو المقفول "Closed" "Fermée" و به ثلاثة مقاطع[115].

أ- مقطع قصير مقفل متوسّط: ويرمز له (ص م ص) ويأتي في نحو : مَنْ و كَمْ.

صامت	+	مصوت قصير	+	صامت
مـ	+	-	+	ن
ك	+	-	+	م

ب- مقطع قصير مديد مقفل بصامت، يرمز له بـ (ص مَ ص)، كأن نقول في لهجتنا " جَابْ " بمعنى أحضر، أو بَابْ.

صامت	+	مصوت طويل	+	صامت
جـ	+	ا	+	ب
بـ	+	ا	+	ب

ج- مقطع قصير مقفل بصامتين: ويرمز له بـ (ص م ص ص)، و نجده في نحو: جَذْرْ و حَقْل و كقول الفلاّحين فَرْع (أي غصن الشّجر).

صامت	+	مصوت قصير	+	صامت
ج	+	-	+	د + ر
ح	+	-	+	ق + ل
ف	+	-	+	ر + ع

[115] - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 160،و أصوات اللغة العربية، حامد هلال، ص 202.

كانت هذه هي المقاطع الخمسة، إلا أنّ هناك ما يقول بمقطع سادس[116]؛ و هو مقطع مفتوح طويل مقفل بصامتين، و يرمز له بــ (ص مَ ص ص)، و يأتي في نحو "شَاقّ"و "ضالّ"، و هو ما يقابل - عند فلّاحي مدينة الرّمشي- لفظ "قَاصْ" من الفعل " قَصَّ" أي قطع. إلّا أن هذا النوّع قليل الاستعمال في الكلمة العربية، لذلك أغفله الكثير من الباحثين [117].

فالأنواع الثّلاثة الأولى؛ و هي (ص م)، و (ص مَ)، و (ص م ص) هي الأكثر شيوعا في العربية، و هي الّتي تكوّن الكثرة الغالبة من الكلام العربي، أمّا النوّع الرّابع (ص مَ ص) فقليل الاستعمال، و يُرى غالبا في نهايات الكلمات و وجوده في حشوها نادر جدّا مثل " مدهمّتان" "هام"، أما النّوع الخامس (ص م ص ص)، فلا يُرى إلاّ في نهايات الكلمات عند الوقف عليها بالسّكون[118].

هذا و قد وضع علماء الأصوات جملة من القواعد التي تحكم المقطع العربي و التي تتمثّل فيما يلي:

1- المقطع العربي الفصيح لا يبدأ إلاّ بصامت، في حين قد يبدأ المقطع في اللّهجة بصائت . وهنا نشير إلى ما ذكره الدّكتور تمام حسّان؛ الّذي نجده يقرّ بوجود مقطع يتألّف من صائت أو مصوّت يليه صامت على هذا النحو (م ص)، و هو في نظره مقطع استدعاه التّركيب، « لأن المجموعة الكلامية لا تبدأ بحركة وذلك تعمد إلى همزة تنشئها قبل هذه الحركة، و تتّخذها قنطرة للنّطق بها، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع. فإذا كان هذا المقطع التّشكيلي في وسط الكلام، فإنّ

---

[116] - ينظر: علم الأصوات، مالمبرج، ص 201.
[117] - ينظر: ظواهر التّشكيل الصّوتي، ص 290.
[118] - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 163، و الوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص 258.

دراسة الأصوات لا تعترف به؛ لأنها تتّخذ من الصّحيح قبله قنطرة، كما اتّخذت همزة الوصل في بداية الكلام... »[119]، ولنا أن نمثّل لذلك بما جاء في قول الفلّاحين: " رْوَات لَرْضْ" بمعنى "ارْتَوت الأَرْض"، فاللّفظة العاميّة لم تستعن بهمزة الوصل الواردة في اللّفظة الفصيحة.

2- تكره العربية الفصحى اجتماع مقطعين؛ الأوّل من النوّع الثّاني (ص م) و الثّاني من النوّع الخامس (ص م ص ص)[120]، فإذا اجتمعا هاذين المقطعين في بناء واحد فاحكم بعجمته، لأنّ العربية لا تعرف في نظامها المقطعي نسقا بهذا التّتابع، نحو "جومرت" في اللّهجة الحلبية؛ و معناها الإنسان الكيّس الّذي يحسن التّدبير.[121]

3- ترفض العربية اجتماع ثلاثة مقاطع؛ الأوّل من النوّع الثّالث (ص م ص) و الثّاني و الثّالث من النوّع الثّاني (ص م)، لأنّ اللّغة العربية لم تعرف في نظامها المقطعي مثل هذا النوّع، نحو لفظة "سرغايا" و هو اسم لقرية في سوريا في حين يكون هذا الأمر متقبّلا عند الوقف على المنوّن المفتوح نحو قنطارًا و قمصانًا.[122]

4- تأبى العربية بناء توالى فيه ثلاثة مقاطع من النوّع الثّاني (ص م)، فكلّ ما كان على قياسها ما عدا الزّوائد واللّواحق فالكلمة ليست عربية، مثل

---

[119] - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 177.
[120] - ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص 203.
[121] - ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي، بوروبة، ص 292.
[122] - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"قاديشا" و"عامودا"[123]. أمّا إذا اتّصلت الكلمة بسوابق أو لواحق فالأمر مستساغ، وهو مع ذلك قليل غير مرغوب فيه كأن نقول "بقرتك" أو "شجرتك"[124].

5- يرفض نظام العربية كلمة تضمّنت في صدرها أو حشوها مقطع من النّوع الخامس (ص م ص ص)[125]، في حين نجد الكثير من المفردات العاميّة تبدأ بهذا المقطع مثل: اَلْحْصِيدَة، و اَلْحْشِيشْ...، كما لا نجد كلمة في العربية تتكوّن من سبعة مقاطع.[126]

3.5.1- أثر البناء المقطعي لبعض ألفاظ الفلاحة في الدّلالة:

1- اَلْبْحِيرَةْ : ص م ص/ ص م / ص م ص.

(3) (2) (5)

2- اَجْلِيدَةْ : ص م ص / ص م / ص م ص.

(3) (2) (3)

3- اَرْيِعَةْ : ص م ص / ص م / ص م ص.

(3) (2) (3)

4- اَلْحْصِيدَةْ: ص م ص ص / ص م / ص م ص.

(3) (2) (5)

5- اَلْحْشِيشْ: ص م ص ص / ص م ص.

(4) (5)

---

123 - ينظر: دراسة في فقه اللغة، صبحي الصالح ، ص 203.

124 - ينظر: علم الأصوات، كالمبرج، ص 167، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص 167.

125 - ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي، ص 292.

126 - ينظر دارسة في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص 203، و مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص114.

6- اَلْـ/حَبْ : ص م ص / ص م ص.

(3) (3)

7- اَلْـ/لَقْـ/مَةْ : ص م ص / ص م ص / ص م ص.

(3) (3) (3)

8- اَلْمُـ/قَصْ : ص م ص ص / ص م ص.

(5) (3)

9- اَلْـ/مَطْـ/مُو/رَةْ: ص م ص / ص م ص/ ص مَ / ص م ص.

(3) (3) (2) (3)

10- اَلْـ/مَدْ/مَدْ: ص م ص / ص م ص/ ص م ص.

(3) (3) (3)

11- اَلْـ/عَزْ/لَةْ: ص م ص / ص م ص/ ص م ص.

(3) (3) (3)

12- اَلْفْـ/لاَ/حَةْ: ص م ص ص / ص مَ / ص م ص.

(5) (2) (3)

13- اَلْـ/قَرْ/وِيـ/شَةْ: ص م ص/ ص م ص/ ص مَ/ ص م ص.

(3) (3) (2) (3)

14- اَتْـ/بَنْ: ص م ص / ص م ص.

(3) (3)

15- اَلْـ/خُرْ/طَانْ: ص م ص / ص م ص / ص مَص.

(3) (3) (4)

16- اَلْـ/گَمْخْ: ص م ص / ص م ص ص.

(5) (3)

17- بَسْـ/بَاسْ: ص م ص / ص مَ ص.

(4) (3)

18- دَرْ/رَ : ص م ص / ص م.

(1) (3)

19- طُو/بَةْ: ص مَ / ص م ص.

(3) (2)

20- يَنْـ/گُشْ: ص م ص / ص م ص.

(3) (3)

21- يَزْ/گِي: ص م ص / ص مَ.

(2) (3)

22- لَرْضْ: ص م ص ص

(5)

23- مَدْ/رَ: ص م ص / ص م

(1) (3)

24- مَنْـ/جَلْ: ص م ص / ص م ص.

(3) (3)

25- مَنْـ/شَارْ: ص م ص / ص مَ ص.

(4) (3)

26- نُـ/ـخَا/لَةْ: ص م / ص مَ / ص م ص.

(3) (2) (1)

27- سَا/رِيجْ: ص مَ / ص مَ ص.

(4) (2)

28- سَا/كْيَةْ: ص مَ ص / ص م ص.

(3) (4)

29- سَبْـ/ـبَحْ: ص م ص / ص م ص.

(3) (3)

30- صَجْـ/ـرَةْ: ص م ص/ ص م ص.

(3) (3)

31- غْـ/ـرَسْ: م ص / ص م ص.

(3)

32- گَا/دُومْ: ص مَ / ص مَ ص.

(4) (2)

من خلال إحصاء نسب المقاطع الواردة في هذه الألفاظ تحصّلنا على النّتائج التّالية:

بلغت نسبة المقطع من النّوع الأوّل (ص م) حوالي 4%، وبلغت نسبة المقطع الثّاني (ص مَ) 15,5 %، وكانت نسبة المقطع الثّالث (ص م ص) 60%، أمّا المقطعين الرّابع (ص مَ ص) و الخامس (ص م ص ص) فجاءت نسبتهما متساوية و هي تعادل 9,5 % بالنسبة لكلّ نوع منهما.

أمّا المقطع من النوّع (م ص) الّذي انفرد بذكره الدّكتور تمام حسان، فقد ورد مرة واحدة و تمثّل في لفظة (غْرَسْ)؛ لأنّ هذه اللّفظة بدأت بساكن و هذا أمر جائز في النّطق العاميّ على خلاف الفصيح الّذي لا يبدأ بصائت أبدا، و كانت نسبته 1,5 %.

وبناء على هذه الإحصائيات، فقد طغى المقطع الثالث على بقية المقاطع الأخرى، و هذا أمر مختلف نو عاما إذا ما قورن بالفصحى الّتي يغلب على ألفاظها المقطع الأوّل (ص م)، كما كثر ورود المقطع من النّوع الرّابع و الخامس لأنّهما يرتبطان بالوقف و كل الألفاظ السّالفة الذّكر جاءت في معظمها موقوف عليها.

من خلال ما تقدّم نخلص إلى نتيجة مفادها أنّ نظام المقطع في اللّهجة لا يكاد يخرج عن نظام العربية الفصحى، و هذا دليل على أنّ الأولى جزء من الثّانية و بالتّالي تخضع لها، و ما يقال عن الفصحى يقال عن اللّهجة باعتبارها تالية لها، اللّهم إلّا بعض الاستثناءات الّتي سبقت الإشارة إليها.

6.1- النّبــــر: L'accent

يتألّف الكلام من مجموعة من الأصوات تتابع فيما بينها مشكّلة في ذلك بنية لغوية متماسكة يترلق كلّ تابع منها من سابقه، إلّا أنّ هذه الأصوات تختلف من حيث القوة و الضّعف و الشدّة و اللّيونة، و تميُّز كلّ صوت عن بقية الأصوات الأخرى يشكّل نبرا.

فالنّبر إذن هو عملية صوتية تمكّن من إبراز وحدة صوتية عن غيرها من

الوحدات المجاورة لها في الكلام[127]، و بهذا يتجسّم النّبر في قوة و وضوح صوت أو مقطع ما إذا قورن ببقية الأصوات أو المقاطع الأخرى[128]، و ينشأ عند هذا المقطع الذي تمّ عليه النّبر نشاط في جميع أعضاء جهاز التّصويت بدءا من الرّئتين إلى غضاريف الحنجرة[129].

ويبدو أنّ نشوء الهمز مشابه لظاهرة النّبر كما هو متناول عند اللّسانيين المحدثين، و المعنى الجامع بينهما هو الضّغط و الارتكاز[130]، فالهمزة كما جاء في قول الخليل :« من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة » [131]، وما هذا الضّغط إلّا بسبب التّوتر الحاصل على مستوى الصّدر واهتزاز الوترين الصّوتيين فيقترب أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتنشأ عنه سعة ذبذبات كبيرة يترتّب عنها وضاحة في الصّوت و المقطع[132]. ويكون هذا في حال المجهور من الأصوات، أمّا مع الأصوات المهموسة فيكون الإبتعاد في الوترين الصّوتيين و تسرّب مقدار أكبر من الهواء سببين في خفوت الصّوت[133].

1.6.1- أنـــواع النّبـــر:

في اللّغة العربية نوعان من النّبر في التّشكيل الصّوتي : صرفي و دلالي[134].

---

[127] - ينظر: مدخل في الصّوتيات، عبد الفتاح إبراهيم، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، د.ت، ص 165، و علم الأصوات، مالبرج، ص 186 .

[128] - ينظر: مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص 194.

[129] - ينظر : ظواهر التشكيل الصوتي، المهدي بوروبة، ص 294.

[130] - ينظر : علم الصّرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص 113.

[131] - العين، 52/1.

[132] - ينظر : الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص 168.

[133] - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[134] - ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 195.

أوّلا: النّبر الصّرفـــي:

يُعتمد في هذا النّوع من النّبر على مبدأ الوضوح و الارتكاز على المقاطع؛ و هي ثلاثة أنواع:[135]

أ- النّبر الرّئيســس.

ب- النّبر الثّانوي.

ج- النّبر الضّعيف.

و يمثّل لأنواع النّبر بكلمة يَـــسْـــ/ـــتَـــ/ـــخْـــ/ـــرِ/جُ[136]

ص م ص/ ص م ص/ ص م/ص م

نبـــر نبـــر نبـــر نبـــر

ضعيف ضعيف ثانوي أوّلي (رئيس)

تتكوّن هذه الكلمة من أربعة مقاطع : اثنان من النّوع الثّالث، و اثنان من النّوع الأوّل و الثّاني، و وقع النّبر على أحد المقطعين بالعدّ من الشّمال إلى اليمين.

وكذلك كلمـــة: فَـــــا/تِـــ/ـــحٌ

ص مَ/ ص م/ص م ص

نبـــر نبـــر نبـــر

أوّلـــي ضعيف ثانـــوي

ثانيـــا: النّبـــر الدّلالـــي (نبر السّياق) :[137]

هو نبر مستقلّ عن نبر الصّيغة الصّرفية، بحيث يقع عل أيّ مقطع في الكلمة،

135 - ينظر: علم الصّرف الصّوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص 138.
136 - ينظر : المرجع نفسه، ص 119.
137 - ينظر : مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 197.

دون النّظر إلى محلّه في التّقدّم و التّأخر على عكس النّبر الصّرفي أو نبر الصّيغة الّذي يقع على مقطع معيّن دون المقاطع الأخرى[138].

ويكمن الفرق بين النّبر الدّلالي التّأكيدي و التّقريري في نقطتين اثنتين:[139]

1- أنّ الهواء المندفع في النّبر التّأكيدي أقوى منه في التّقريري.

2- أنّ الصّوت أعلى في التّأكيدي على خلاف التّقريري.

2.6.1- مواضع النّبر في اللّغة العربيـــة:

اتّفق علماء اللّغة العربية على أنّ مواضع النّبر تكون كما يلي؛ و ذلك بالعدّ العكسي أي من الشّمال إلى اليمين:

أ- يقع النّبر على المقطع الأوّل من الشّمال إذا كان المقطع من النّوع الخامس (ص م ص ص)، مثل (قَــرٌّ) من قوله تعالى : ﴿ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ [140]، أو من النّوع الرّابع (ص مَ ص)[141]، مثل: (عِينْ) من قوله تعالى: ﴿نَسْتَعِينُ ﴾ [142].

ب- ويقع النّبر على المقطع ما قبل الأخير، إذا كان من النّوع الثّالث (ص م ص)، وألّا يكون من النّوع الأوّل (ص م)، مسبوقا بمقطع من هذا النوع [143]، مثل : عَلَّمَ و قَدَّرَ.

ج – يقع النّبر على المقطع الّذي يسبق ما قبل الآخر، إذا كان المقطع الآخر يقع

[138] ـ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها، و علم الصّرف الصّوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص 120.
[139] ـ ينظر : مناهج البحث في اللغة، ص 197.
[140] ـ من الآية: 12 من سورة القيامة .
[141] ـ ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 170.
[142] ـ من الآية: 4 من سورة الفاتحة.
[143] ـ ينظر : مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 195.

مع ما قبله في إحدى الصّورتين:[144]

1- المقطع الأخير من النّوع الثّالث (ص م ص) وما قبله من النّوع الأوّل (ص م) نحو: عَلَّمَكَ و حَاسَبَكَ؛ فالنّبر وقع على (عَـــلْ) و (حـــَا).

2- المقطع الأخير من النّوع الثاني (ص م)، وما قبله من النّوع الأوّل (ص م) نحو: عَلَّمُوا، وحَاسَبُوا.

3.6.1- مواضع النّبر لبعض الألفاظ الفلاحيـــة:

أ- ***النّبر على المقطع الأخير*** :

و نمثّل لهذا النّوع من النّبر بالكلمات التّالية:

1- الگَمْـــحْ: ص م ص / ص م ص ص وقع النّبر على المقطع الأخير.
(3) (5)

2- لَـــرْضْ: ص م ص ص وقع النّبر على هذا المقطع الوحيد.
(5)

3- الخُـــرطَانْ: ص م ص / ص م ص / ص م ص وقع النّبر على المقطع الأخير.
(3) (3) (4)

4- الحَشِيْشْ: ص م ص ص/ ص م ص وقـــع النّبر على المقطع الأخير.
(5) (4)

5- مَنْشَـــارْ: ص م ص / ص م ص وقـــع النّبر على المقطع الأخير.
(3) (4)

6- سَارِيْـــج: ص م / ص م ص وقـــع النّبر على المقطع الأخير.
(2) (4)

144 - ينظر: المرجع نفسه، ص 196.

7- بَسْبَـــاسْ: ص م ص / ص مَ ص وقـــع النّبر على المقطع الأخير.

(4) (3)

ب – ***النّبر على المقطـــع ما قبل الأخير :***

1- البْحيـــرَةْ:ص م ص ص/ص مَ /ص م ص وقع النّبر على المقطع ما قبل الأوّل.

(3) (2) (5)

2- الحَصِيدَةْ: ص م ص ص/ص مَ /ص م ص وقع النّبر على المقطع ما قبل الأوّل.

(3) (2) (5)

3- الحَـــبْ: ص م ص / ص م ص و قع النّبر على المقطع الأوّل.

(3) (3)

4- اللَقْمَـــةْ: ص م ص / ص م ص/ ص م ص و قع النّبر على المقطع الأوّل.

(3) (3) (3)

5- الْمَقَـــصْ: ص م ص ص / ص م ص و قع النّبر على المقطع الأوّل.

(3) (5)

6- المَطْمُـــورَةْ: ص م ص / ص م ص / ص مَ / ص م ص وقع النّبر على المقطع ما قبل الأوّل

(3) (2) (3) (3)

7-العَـــزْلَةْ: ص م ص /ص م ص/ ص م ص وقع النّبر على المقطع ما قبل الأوّل.

(3) (3) (3)

8-الفّلاَحَةْ: ص م ص ص/ ص مَ/ ص م ص وقع النّبر على المقطع ما قبل الأوّل.

(3) (2) (5)

9- القَرْوِيشَةْ: ص م ص / ص م ص / ص مَ / ص م ص وقع النّبر على المقطع
(3) (3) (2) (3) ما قبل الأوّل.

10- طوبـــة: ص مَ / ص م ص و قع النّبر على المقطع ما قبل الأوّل
(2) (3)

11- يَزْكِي: ص م ص / ص مَ و قع النّبر على المقطع الأوّل
(3) (2)

12- نُخَـــالَةْ: ص م / ص مَ / ص م ص و قع النّبر على المقطع ما قبل الأوّل.
(1) (2) (3)

2- التّغيّرات التّاريخية:

هي إن -صحّ القول- تكاد تكون عكس التّغيرات التّركيبية، كونها تحدث من التّحول في النّظام الصّوتي للّغة، بحيث يصبح الصّوت اللّغوي في كلّ سـياقاته صوتا آخر[145]. فهي إذن مطلقة تصيب الصّوت في كلّ تركيب من تراكيب اللّغة، وهو ما أصاب الأصوات الأسنانية (الثّاء والذّال والظّاء)، حيث تغيّر نطقهـنّ في اللّهجات العربية الحديثة وأصبحت الثّاء تنطق تاء والذّال تنطق دالا والظّاء تنطـق ضادا.

وليست للدّراسة التّاريخية للأصوات قواعد ولا ضـوابط تـضبطها، إذ لا يتسنّى لنا معرفة كيف يتمّ هذا التّطور ولا نوعه الّذي سوف يـؤول إليـه، لأنّ الأصوات تتعرّض لهذه التّطورات أثناء تداولها وانتقالها من جيل إلى آخر بالإضافة

[145] - ينظر: التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه، ص 48.

إلى عوامل أخرى شديدة التّشابك، يمكن إيجازها فيما يلي :

1.2- عامل الحالة النّفسية:

يبدو أنه للحالة النّفسية تأثير كبير في اللّغة، إذ من خلال صوت المتكلّم يمكن الحكم عليه، فكلّ حركة أو تصرّف أو فعل هادئا كان أو منفعلا ينبأ على حالته النّفسية والّتي تتجلّى من خلال ارتفاع صوته أو انخفاضه.

وهو ما ذهب إليه بعض العلماء حين عزوا تطوّر الأصوات من شدّة ورخاوة أو العكس إلى الحالة النّفسية الّتي يكون عليها الشّعب، فإذا مال إلى الدّعة والاستقرار مالت أصوات لغته إلى الانتقال من الشّدة إلى الرّخاوة، وإذا اعتزّ الشّعب بقوته وجبروته مال إلى العكس.[146]

فأصوات اللّغة إذن هي أعظم شاهد على حالة الأمّة عموما والأفراد خصوصا، فخشونة ألفاظها تدلّ على خشونة طباعهم وشظف عيشهم،[147] وما يؤيد هذا الرّأي هو جنوح البدو في اللّهجة الجزائرية إلى استعمال الأصوات الشّديدة بعكس البيئات الحضرية التي تميل إلى الأصوات الرّخوة.

2.2- عامل السّهولة:

يسعى المتكلّم في نطقه لأصوات لغته إلى التماس أيسر السّبل للإبانة عن المعاني المراد إيصالها، فيستبدل ما شقّ عليه من أصوات عسيرة بأخرى سهلة لا تكلّفه مجهودا عضليا كبيرا.

[146] - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 235.

[147] - ينظر: اللسان، وأمراض اللغة (رؤية إكلينيكية) و انعكاساتها الاجتماعية، محمد كشاش، المكتبة العصرية صيدا، بيروت (لبنان)، ط1، 1419ه - 1998م، ص 24.

وممّا ينطبق عليه هذا الكلام ظاهرة الهمز في اللّغة العربية الفصحى و لهجاتها و محاولة الكثير من النّاطقين تخفيفها، و أحيانا التّخلص منها، وهذا لما تمتاز به من عسر في النّطق.

3.2- عامل الشّيوع :

أكدّ جمهور اللّغويين أن أكثر الأسباب المؤدّية إلى تطوّر الأصوات اللّغوية و تبديلها هو « ميل اللّغة أو اللّهجة إلى الإكثار من تردّد صوت بعينه، و أنّ الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال و يكثر ورودها في الكلمات تكون أكثر تعرّضا للتّطور من غيرها » .[148]

و هذه الأصوات التي يكثر دورانها في المنطوق الفصيح أو العامّي هي الصّوائت، و أشباهها و التي اصطلح عليها بالأصوات المائعة وهي (اللاّم و النّون والميم و الرّاء)، و هذا ما هو وارد في الكثير من الكلمات العربية إذ قد تأتي مفتوحة و أخرى مكسورة و أخرى مضمومة من دون خلل يصيب المعنى، فالمتكلّم أثناء نطقه لهذه الأصوات قد يخرج بها من صورها الأصلية إلى صورة أخرى قد تصادف الشّيوع و الذّيوع بين النّاس.[149]

4.2- عامل اختلاف أعضاء النّطق:

يرى بعض الدّارسين أنّ اختلاف الأصوات و انتقالها من جيل إلى آخر يعود إلى أعضاء النّطق التيّ تختلف باختلاف الزّمان و المكان، و هذا ما ذهب إليه عبد الواحد وافي حين رأى :« أنّ البيئة الفيزيولوجية للإنسان تتطلّب نموّا مطّردا

[148] - في الأصوات اللغوية دارسة في أصوات المد العربية، ص 55.

[149] - ينظر: التطور اللغوي مظاهره ، و علله و قوانينه، ص 125.

لأعضائها و في استعدادها و منهج أدائها لوظائفها ».[150] فأعضاء التّصويت (الرئتان، و القصبة الهوائية، و الحنجرة، و الوتران الصّوتيان، و اللّسان، و الفم، و الأنف و الشّفتين) تختلف من متكلّم إلى آخر و بالتّالي ينتج عنها اختلاف في الأصوات.

و لهذا نجد أنّ نطق الأصوات يسير تبعا للوضع الذي آلت إليه أعضاء النّطق و استقرّت عليه، و ذلك لأنّ النّظام الصّوتي عند المتكلّم يستقرّ منذ طفولته، و يدوم طول حياته، فالإنسان يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات الّتي تعوّدت عليها أعضاؤه الصّوتية منذ طفولته فهي تتغيّر من جيل إلى جيل، و تتأثّر من بيئة لأخرى كما أثبت علم التّشريح.[151] فإذا ألف الفرد نطق (بِهِ) بالكسر فإنه يتعذّر عليه بل لا يمكن نطقها بغير الكسر كالضّم مثلا، و إذا اعتاد على نطق الظّاء ضادا فإنه لا تسعفه أعضاء نطقه حتّى يخرج صوت الظّاء صحيحا.

فهذه الفروق الفردية في نطق الأصوات حتميّة لا يمكن إيقافها، لأنها جبرية و كلّ إنسان و طبيعة تكوينه،[152] بالإضافة إلى ما في البيئة من عوامل و ظروف ساهمت هي الأخرى في التّحكم في هذا النّطق وتوجيهه.

5.2- عامل الخطأ في التّقليد :

يكتسب الطفل لغته من المحيطين به لاسيما أبويه كونهما أقرب إليه و أكثر اتّصالا به، فيبدأ بتقليد ما يسمعه من أصوات.

---

150 - علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة (مصر)، ط7، 1945م، ص 286.

151 - ينظر: المرجع السابق، ص 115.

152 - ينظر: علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، ص 138.

و بما أنّ حاسّة السّمع من طبيعتها أنّها معرّضة للزّلل في إدراكها الأصوات خاصة إذا كانت متقاربة المخارج كان من السّهل على الطّفل أن يخطئ في إخراجه لبعض الأصوات، و هو في ذلك إمّا يبالغ أو يقصر في نطقه لها فقد يبدل صوتاً مكان صوت آخر، كأن يضع مكان الرّاء لاما في كلمة (أربعة) التي أصبحت عندهم (ألْبعة)، و هذا ممكن لما في صوت الرّاء من مشقّة تدفعه للعُدول عنه و استبداله بغيره، فيكون السّبب كما قال نعيم علوية: «كامنا في أنّ الرّاء تحتاج إلى طاقة أكبر من الطّاقة اللاّزمة لإخراج اللاّم»[153].

لهذا أرجع الكثير من علماء اللّغة ما يسمّى في اللّغة العربية بحالات تعاقب الأصوات إلى الخطأ السمعي.[154]

إلاّ أنّه ممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ هذا الخطأ في السّمع لا ينطبق على الطّفل فقط، و إنّما قد يقع فيه الكبير أيضا نتيجة خلطه في بعض الأصوات المتقاربة المخارج، كأن يقول: فُوم في ثُوم، و يعود ذلك إلى شدة تقارب هذه الأصوات و عدم وضوح الفرق بينها في السّمع تماما[155].

هذه هي أهمّ عوامل التّطوّر الّتي تخضع لها الأصوات اللّغوية ويتعرّض لها النّاطق بها، سواء كان النّطق فصيحا أو لهجيّا. و هذا ما اتّضح لنا من خلال ما عرضنا من آراء لمجموعة من الدّارسين القدامى و المحدثين، باعتبار هذه التّبدلات

---

153 - بحوث لسانية بين اللّسان و نحو الفكر، نعيم علوية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت (لبنان)، ط2، 1406هـ - 1986م، ص 23.

154 - ينظر: لحن العامة و التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشمس، القاهرة (مصر)، ط2، 2000م، ص 41.

155 - ينظر: التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه، ص 110.

أساسا صحيحا لتفسير ما طرأ عليها من ظواهر، ملتمسين في ذلك مدى صحّتها وسلامة اتّجاهها، محاولين استقراءها في إحدى اللّهجات الحديثة، فكانت لهجة الرّمشي (و منطوق الفلاّحين بالذّات) نموذجا من خلاله تتبّعنا أهّم التّغيّرات الشّائعة التي لحقت بأصواتها و ثبتت على ألسنة النّاطقين بها.

و بالإضافة إلى تلك الدّوافع و الأسباب التي من أجلها تحدث هذه التّغيرات، هناك استثناءات أخرى، يمكن عدّها من ضمن عوامل التّطور الصّوتي « كالقياس مثلا الّذي ينحصر في أنّ التّغير الّذي يفرضه القانون الصّوتي على كلمة من الكلمات قد يتوقّف أو يعدّل تحت تأثير كلمات أخرى من اللّغة»[156]، كأن يتكلّم الإنسان لهجة أجنبيّة محاولا في ذلك الغلوّ بقدر ما في مراعاة صحّة ما يقول، الأمر الّذي يوقعه في عدم نطق الصّوت نطقا صحيحا.

فحالات الاستثناء في التّغيرات الصّوتية أمر لا يمكن تجاهله، هذا ما ذهب إليه اللّغوي فندرس حين جزم بأنّ أهمّ دواعي التّبدلات الصّوتية كان سببها في غالب الأحيان أنّ كلمات دخلت اللّغة بعدما توقّف تأثير القوانين التي كانت تستلزم تعديلها.[157]

و هكذا نكون قد وضعنا مسحا مبسّطا لأهمّ دواعي هذا التّطور الذي طرأ على اللّغة في صيرورتها، ذاكرين في ذلك أهمّ العوامل التي كانت لها يدّ بأيّ شكل من الأشكال في ظهور هذا التّغير الصّوتي الّذي كان آليّا جبريّا لا دخل لإرادة الإنسان فيه، و لا يد له في وقف آثاره أو تغيير ما يؤدي إليه.

---

156 - اللغة، جوزيف فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة (مصر)، د.ط، د.ت، ص 79.

157 - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

و في الأخير يمكن القول كخلاصة لما تقدّم؛أنّ اللّغة العربية غنيّة ثَرَّة، حملت في ثناياها أسباب نمائها، و من ثمّ سايرت التّطور بكلّ أنواعه، فهي كالكائن الحيّ تخضع للنّواميس الطّبيعية من سيادة و تغيّر وزوال، فهي تسير في نموّها من أجل تلبية احتياجات النّاطقين بها، و هذا النّمو و التّطور يحدث في كلا الجانبين المنطوق و المكتوب، و إن كان الجانب الأوّل يملك أكبر قدر من نسب تلبية حاجات المتكلّم باعتباره الأصل في اللّغة، فاللّغات الإنسانية قبل أن تصل إلى هذه الرّموز المكتوبة كانت عبارة عن أصوات منطوقة، مطلقة خالية من قيود الكتابة.

و نحن إذ نذكر المنطوق نقصد به اللّهجة كونها وسيلة من وسائل الاتّصال اللّغوي تسير جنبا إلى جنب مع اللّغة الفصحى، بحيث إذا تهيّأت لها الأسباب حقّقت نموّها و اكتمالها حتى تفي بحاجات المجتمع الّذي تعيش فيه، فكلاّ من اللّغة و اللّهجة يتّصلان بالصّوت مباشرة، و إن كانت جهة الارتباط مختلفة، لأن اتّصال اللّغة به من حيث وفاؤه بالمطلوب منه في إفادة لما وضع له من معنى و تميزه عمّا سواه، وارتباط اللّهجة به يكون من حيث الصّورة التي تصحبه في النّطق، فاللّهجة إذا تتولّد من اللّغة و تتفرّع عنها،[158] و بالتّالي تخضع هي الأخرى للنّواميس الطّبيعية التي تتحكّم في كلّ تبدّل و تغيّر، إذ هي ليست حديثة النّشأة وإنما تعود إلى زمان لم يكن للفصحى وجود فيه.

و ما يمكن استنتاجه ممّا تقدّم هو أنّ العديد من المظاهر اللّهجية و التّنوعات الصّوتية التي تميّزت بها اللّهجات العربية قديما لا يزال سائدا و مسموعا في عصرنا هذا.

---

[158] - ينظر: معالم اللهجات العربية، عبد الحميد محمد أبو سكين، مطبعة الفاروق الحرفية للطباعة و النشر، مصر،د.ط، د.ت، ص 21.

هذا ما يؤكّد أنّ اللّهجات العربية الحديثة ما هي إلاّ امتداد للقديمة و تالية لها، و هو ما يدلّنا على أنّ الفضل الكبير يعود للّغويين القدامى الّذين و ضعوا حجر الأساس لدراسة هذه اللّهجات.

و تعدّ لهجة مدينة الرّمشي واحدة من هذه اللّهجات الحديثة التي تناولناها بالدّراسة فتبيّن لنا ما يلي:

فيما يخصّ مظاهر الإبدال التي وردت في منطوق الفلاّحين تكاد تكون نفسها التّي في الفصحى و اللّهجات القديمة.

فتخفيف الهمز مثلا و رد قديما؛ بحيث أثبتت آراء العلماء و أهل اللّغة أنّها ظاهرة لغوية وردت في اللّهجات العربية القديمة، و لم تقتصر على لهجة دون أخرى، و إن تفاوتت صور التّخفيف و درجاته[159].

و عليه يمكن القول، إنّ صّعوبة نطق الهمزة و تعذّر تحقيقها في الكلام جعلها تسقط من لهجة الرّمشي عموما، إذ لم نعد نسمعها في لغة التّخاطب اليومي لاسيما ما يتداول بين الفلاّحين من كلمات في مجال الفلاحة، وإبدالها (ألفا أو ياء أو واوا)،هو ضرب من التّخفيف حتّ يسهل عليهم نطقها، ولا نجد له مسوّغ سوى التّخفيف؛ وهو ما ذهب إليه علم الدّين الجندي حين رأى أن العامّية قد انحرفت عن الفصحى، وهذا الانحراف ناشئ في أغلب الأحيان من القصد إلى التّخفيف في النّطق، [160] و هو رأي أكّدته تجارب اللّغويين القدامى و المحدثين.

---

159 - ينظر: من أصول اللهجات العربية ، عبد المجيد عابدين، ص 23.

160 - ينظر: اللهجات العربية في التراث القسم الأول: في النظامين الصوتي و الصرفي، علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د.ط 1978م ، ص 131.

أمّا إبدال الأصوت الأخرى (كالثّاء و الذّال و الضّاد والدّال و القـــاف)، فكان مسوّغه الميل إلى ما يسمّى بالاقتصاد اللّغوي، كما يقول عبد الواحـــدوافي: « ومن آثار هذا ما حدث في اللّغة العربية بصدد أصوات الجيم و الثّـــاء والـــذّال و الظّاء و القاف، فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللّسان في كثير مـــن البلاد العربية، وأصبح لفظها على الوجه الصّحيح يتطلب تلقينا خاصّا و مجهودا إراديا و قيادة مقصودة لحركات المخارج... أخذت تتحول منذ أمـــد بعيـــد إلى أصوات أخرى قريبة منها»[161]. وهم لذالك جنحوا إلى إبدالها بأصوات تقربهـــا مخرجا، فنطقوا الثّاء تاء والذّال دالا والضّاد دالا و القاف جيما قاهرية.

و فيما يخص باقي الأصوات كالصّاد و السّين و الزّاي، و النّـــون و المـــيم و اللاّم، فقد خضعت هي الأخرى للتّغير لما بينها من قرابة في المخرج، و هذا ما ذهب إليه ابن دريد بقوله : « واعلم أنّ الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللّسان منها إذا تباعدت.»[162]

و عليه فالإبدال هو مسلك يسلكه المتكلّم لتسهيل النّطق و التّقليـــل مـــن الجهد المبذول في عملية الإنتاج الصّوتي.

كما أنّ من أهمّ الظّواهر الصّوتية الّتي لمسناها من خـــلال دراســـتنا لهـــذا المنطوق هي ظاهرتي المماثلة و المخالفة؛ اللّتان تنتجان من خلال مجاورة الأصوات لبعضها البعض، وهما – كما رأينا – قانونان عامّان شاملان لم تسلم منهما اللّغة العربية الفصحى و لا لهجاتها القديمة منها و الحديثة.

---

[161] ـ فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص 135.

[162] ـ جمهرة اللغة، 9/1.

أمّا عن الحركات و المسمّاة بالصّوائت، فهي كما قال محمد داود: « تحدث من خلال اندفاع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق و الفم، دون أن يكون عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا كليا أو جزئيا.»[163]، وهي لذلك تمتاز بقوّة وضوحها السّمعي لما تؤدّيه من دور في الكلمة لاسيما نظام النّبر في المقطع، و هذا ما أثبته أحد الدّارسين حين رأى أن الخلاف القائم بين اللّهجات العاميّة في العصر الحاضر يرجع الكثير منه إلى نبرة الكلام و موسيقاه النّاشئة عن تغيّر المدود و الحركات إطالة و تقصيرا وسرعة و بطأ.[164]

و نحن في تتبّعنا لهذه الحركات في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، وجدناها كثيرة التّغير، و تنزع إلى القلب و التّبدل السّريع؛ إذ عثرنا على القلب بين الكسرة و الضّمة، و آخر بين الكسرة و الفتحة، و ثالث بين الضّمة و الفتحة، و كلّ هذه الصّور من القلب حدثت دون أن تكون سببا في تغيّر المعنى.

أمّا فيما يخص نظام المقطع في العاميّة، فلا يكاد يحيد عن النّظام الفصيح، بغض النّظر عن بعض النّقاط الّتي كانت هي أوجه الاختلاف بينهما، كمثلا:
الابتداء بصائت في اللّهجة دون الفصحى، و طغيان المقطع من النّوع الثّالث على بقية المقاطع بخلاف الفصحى الّتي يطغى على ألفاظها المقطع من النّوع الأوّل.

و ما يمكن قوله عن الاختلافات النّطقية في منطوق هؤلاء الفلاّحين، أنّها كانت شائعة الاستعمال بالكيفية المذكورة في اللّهجات العربية القديمة.

---

[163] ـ الصوائت و المعنى في العربية دراسة دلالية و معجم ، محمد محمد داود، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، د.ط، 2001م، ص 12.
[164] ـ ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مايو، ص 256.

كما أنّ هذه التّغيرات الصّوتية سواء في اللّغة الفصحى أو اللّهجة تتّــــصف بالاطّراد، بحيث إذا درجت على صورة معينة لا تحيد عنها إذا ما تهيّأت لها ظروف حدوثها، بالإضافة إلى أنّها تلقائية تحدث من دون قصد من المتكلّم في نطقه لأي صوت من الأصوات.

الفصل الثاني

الدراسة الدلالية

1- أسباب التطّور الدّلالي

1- أ- العامل الاجتماعي و الثّقافي

1- ب- العامل النّفسي

1-ج- عامل الانحراف اللّغوي

1- د- العامل التّاريخي

2- أشكال التطّور الدّلالي

2-أ- تعميم الدّلالة

2-ب- تخصيص الدّلالة

2-ج- الانتقال من مجال إلى مجال

3- العاميّ الفصيح

4- الدّخيل

5- المعرّب

لإن كان علم الأصوات يختصّ بدراسة الأصوات التي تتألّف منها الكلمات ، فإنّ علم الدّلالة يبحث في معاني هذه الكلمات و ما يطرأ عليها من تغيّرات، فيحدّد معانيها المعجمية و يتتبّع تغيّراتها المجازية التي تؤول إليها .

و قد ظهر مصطلح علم الدّلالة بهذا المفهوم في نهاية القرن التّاسع عشر على يد الفرنسي ميشال بريال (Michel Bréal) عام 1883 م قاصدا به علم المعنى [1].

و بما أنّ عملية التّواصل اللّغوي بين الأفراد ، كيفما كان هذا التّواصل – شفهيا أو كتابيا – فإنّها بلا شك تحمل معاني مختلفة ، فمهمّة علم الدّلالة إذن هي البحث في هذه المعاني و علاقتها بما قبلها و ما بعدها، و عليه أضحى هذا العلم يشكّل مستوى أساسي من مستويات الدّرس اللّغوي، فيبحث في معنى الكلمة و الجملة [2]، ناهيك عمّا استجّد فيه من بحوث و دراسات، فهو لم يعد يقتصر على الجوانب التّاريخية ، بل أدخلت الجوانب الاجتماعية و النّفسية و كل ما له علاقة بالمعنى [3].

و لعلّ هذه المرحلة التي وصل إليها علم الدّلالة أجدى و أنفع كونها تدرس اللّفظة من جميع الجوانب لأنّ دراسة المفردات بهذه الطّريقة هي من سيمات البحث الحديث في اللّغة عامة [4]، كون هذه المفردات لا تستقرّ على حال ، بل تتّبع الظّروف فكلّ متكلم يكوّن مفرداته من أوّل حياته إلى آخرها

---

[1]- ينظر: علم الدّلالة ، كلود جرمان و ريمون لوبلون ، ترجمة ،د.نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قازيونس،بنغازي (ليبيا) ، ط1، 1997 م ، ص 7 .

[2]- ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة ، د. شحاده فارع ، د.موسى عمايرة ، د. جهاد حمدان ، د. محمد عناني ، دار وائل للطباعة و النشر، القاهرة (مصر) ط1 ، 2000 م ، ص 175 .

[3]- ينظر: المرجع السابق ، ص 7 .

[4]- ينظر: دراسة بعض ألفاظ الحضارة في ضوء علم الدلالة من خلال كتاب البخلاء للجاحظ ، مخطوط رسالة دكتوراه حلقة ثالثة ، إعداد بن حويلي مدني، إشراف د. عاطف عبد الهادي علام، معهد اللغة و الأدب العربي، الجزائر، 1411 هـ – 1990 م، ص 8.

بمداومته على الاستعارة ممّن يحيطون به، فالإنسان يزيد من مفرداته ، و لكنّه ينقص منها أيضا و يغيّر الكلمات في حركة دائمة من الدّخول و الخروج.[5]

و لهذا يعدّ الدّرس الدّلالي في اللّغة و لهجاتها من أهمّ الدّراسات و أصعبها في آن واحد، أمّا أهميته فتكمن في أنّه غاية الدّراسات الصّوتية و النّحوية و الصّرفية ، و أمّا صعوبته فتكمن في مشكلة المعنى، فالدّلالة كما عرّفها كريستيان (Christian) هي دراسة معاني الكلمات[6]. ذلك أنّ تحديد المعنى ليس أمرًا سهلا، و هذا ما نلاحظه في استعمالاتنا الكلامية اليومية من أنّ كثيرًا ممّا يصيبنا في حياتنا العادية من خلافات و عدم تفاهم سببه أنّنا لا نفهم بشكل واحد و واضح معنى ما نقوله أو ما نسمعه، لهذا نجد الكثير من العلماء و الباحثين يولون أهمّية كبرى لدراسة هذه الاستعمالات الكلامية اليومية الّتي هي «حزم من الملامح الدّلالية»[7]، إذ يقول أنيس فريحة : « يهتمّ دارسوا اللّغات الحيّة اهتماما كبيرا بدراسة اللّهجات، لأنّهم يرون فيها مبادئ التّطور النّحوي و الصّرفي و الفقهي»[8] فوجدوها ميدانا خصبا مارسوا فيه دراساتهم لمعاني الكلمات.

هذا يقودنا إلى القول بأنّ اللّهجة مثل اللّغة تضمّ مفردات على الباحث دراستها و معرفة ما يطرأ عليها من تغيير، فصدق من قال: «لم يُفقد من أحوال اللّسان المدوّن إلاّ حركات الإعراب في أواخر الكلم فقط»[9]، بل إنّ صورة

---

[5]- ينظر: اللغة فندريس، ص 247 .

[6]- ينظر: La Sémantique, christian touratier, Armand colin, Paris, 2000 .S.I. P 8 .

[7]- مشكلات اللغة و التخاطب في ضوء علم اللغة النفسي ، نازك إبراهيم عبد الفتاح ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة (مصر)، د.ط،2002 م ، ص 96 .

[8]- معجم الألفاظ العامية، أنيس فريحة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، د.ط ، 1947 م، ص ا .

[9]- محاضرات في علم النفس اللغوي، حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2،1980م ، ص 2.

التّطور لا تظهر مكتملة إلاّ بدارسة اللّهجات الحديثة باعتبارها امتدادا للعربية القديمة و تطوّرا لها، و هي توضّح إلى حدّ بعيد في الكثير من الأحيان بعض الحالات اللّغويّة القديمة التي لا نجد عنها ما يكفي من الوثائق [10].

هذا يبرز ما للّهجة من قيمة في تطوّر المفرادات المتداولة بين أفراد المجتمع الواحد، و يبيّن أن الفروق بين اللّهجة و الفصحى بسيطة لا تتعدّى مجموعة من الكلمات القليلة.

هذه التّغيرات التّي تمسّ المفردات هي ما أطلق عليها العلماء و الباحثون في حقل الدّلالة اسم التطوّر الدّلالي؛ و هي ظاهرة تصيب في بدايتها الكلمات ثم القواعد، فنظام الجملة ككل ممّا يؤثّر في الاستعمال، و هذا ما لمسناه واضحا في لهجتنا اليومية، إذ نجد تحويرًا في معاني بعض المفردات و خللا يعتري أوصال الجمل و التراكيب.

فالتطوّر الدّلالي إذن يتتبّع أحوال هذه الألفاظ و المعاني، و يشير إلى التّغير الذي طرأ على كلّ واحد من الطّرفين، و مدى تأثيره على الصّلة الرّابطة بينهما مع مرور الزّمن [11]، و هذا دليل على أنّ ألسنة النّاس ما دامت تتداول فإنها تتغيّر و تتطوّر بحكم الحياة البشرية التّي هي بدورها تساعد و تشجّع على هذا التّطور.

و كان اهتمام علماء الدّلالة بمسألة التّطور الدّلالي كمحور رئيسي لعلم الدّلالة الحديث الّذي دارت جهود الباحثين فيه حول دراسة التّطورات التّي

---

[10]- ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، تقديم صالح القرمادي، تونس، ط2،1987م، ص 194.

[11]- ينظر: علم الدلالة العربي: النظرية و التطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، فايز الدّاية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 6، و اللغة و الدلالة آراء و نظريات و دراسة، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العربي، د. مشق (سورية) ، د.ط،1981 م، ص 51 .

تصيب المعنى منذ أوائل القرن التّاسع عشر، حين حاولوا تأطير تغيّر المعنى بقواعد و ضوابط، فبحثوا في هذا المجال دواعي و أشكال تغيّر الدّلالة فتوصّلوا إلى أنّ التّطور الدّلالي هو تغيير الألفاظ لمعانيها، ذلك أنّ الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة مما ينتج التّطور الدّلالي كلّما حدث تبدّل في هذه العلاقة[12].

و هذه التّغيرات التّي تلحق بمفرادات اللّغة أو اللّهجة، لا تحدث دفعة واحدة ، بل تسير بشكل متدرّج و عبر فترات قد لا يشعر الفرد بانتقالها ، فهي لم تتكوّن بين عشيّة و ضحاها و إنّما تأتي متدرّجة ، و ربّما من الصّعب تمييزها في أثناء حدوثها [13].

و التّطور الدّلالي خاصيّة طبيعية عالمية تمسّ كلّ اللّغات بدون استثناء، حيث يقول إبراهيم أنيس في هذا الصّدد: « فتطوّر الدّلالة ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات، و يلمسها كلّ دراس لمراحل اللّغة و أطوراها التّاريخية»[14]، كما أنّه قد ينشأ من جرّاء تأثّر اللّغة الواحدة بمثيلاتها، و هذا ما ينطبق على العربية، فقد تأثّرت أيّما تأثّر نتيجة ما شهدته عبر تاريخها الطّويل سواء عن طريق الاستعمار أو التّجارة أو الفتوحات، ممّا تولّد عنه احتكاك في جميع المجالات لاسيما اللّغة التّي كانت سببا في هذا التّطور الّذي مسّ الكثير من المفردات.

و ما يصدق على اللّغة العربية من تبادل التأثّر مع غيرها من اللّغات الأجنبية، لابدّ أن يصدق على لهجاتها التّي هي الأخرى شهدت فترات من

---

[12]- ينظر: علم الدلالة ، أصوله و مباحثه في التراث العربي- دراسة- عبد الجليل منقور، منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق (سورية)، د.ط، 2001 م، ص 96 .

[13]- ينظر: معرفة اللغة، جورج بول، ترجمة، د.محمد فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية (مصر)، د.ط، د.ت، ص 227 .

[14]- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، ط6، 1991م ، ص 123 .

الاستعمار، و العامية الجزائرية أصدق دليل على ذلك، فقد اضطرّت إلى إدخال الكثير من المفردات الأجنبية في خطاباتها اليومية، وكان من نتائج هذا التّأثير و التّأثّر تغيّرات مسّت الألفاظ كما مسّت الأصوات أيضا، فقد أحدثت تطوّرات على كلّ المستويات بدءًا بالأصوات و انتهاءا بالدّلالة، و حسبنا هنا أن نشير إلى ما أصاب مجال الدّلالة الكلامية من تطوّر و ثراء بفعل التّبادل اللّغوي مع اللّغات الأخرى، فقد دخلت ألفاظ ليست بالقليلة في مجال الدّلالة الكلامية في العربية المعاصرة حتّى صارت جزءا لا يتجزّأ من اللّغة العربية [15].

وقد حصر علماء الدّلالة هذا التّطور في نوعين: نوع مقصود و آخر غير مقصود، أمّا عن النوّع الأوّل؛ فيكون بقيام المجامع اللّغوية و الهيئات العلميّة و أصحاب المهرة في صناعة الكلام، تمثّل ذلك عند وجود الحاجة إلى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ التي تطلّبتها حياة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية جديدة، إلاّ أنّ هذا التّطور المتعمّد و المقصود أقلّ أثرًا في اللّغات بوجه عام[16]. و أمّا النّوع الثّاني، فيكون دون تعمّد أو قصد و لا دخل لإرادة الأفراد فيه، إذ المفردات كونها اجتماعية بالطّبع لا تسير في تطوّرها تبعًا للأهواء و المصادفات. و هذا النّوع من التّطوّر هو الّذي يتّصل بموضوعنا.

و بهذه الطّريقة انتقلت الكثير من الكلمات الفصيحة و العاميّة من معانيها القديمة إلى معان جديدة اقتضاها التطوّر الحضاري، دون أن يعرف تدخّل الهيئات أو المجامع أو العلماء في ذلك. فكلمة (الوِرد) قد اتّسع معناها الّذي كان يدلّ على إتيان الماء فقط إلى إتيان كلّ شيء، و لفظ (الطّهارة) قد

---

[15]- ينظر: الدلالة و الكلام دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، محمد داود، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة (مصر)، د.ط، 1421 هـ، 2000 م، ص 514.

[16]- ينظر: التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه ، ص 253، و دلالة الألفاظ ابراهيم أنيس، ص 134 .

اقتصر معناه على معنى الختان بعدما كان يدلّ على النّقاء و هكذا...، و قد يحدث تطوّر جذري على اللّفظ، فينتقل من مجاله الأصلي إلى مجال آخر خاضعا في ذلك لسنن التّطور الدّلالي.

و بما أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية تحيا في بيئة اجتماعية، و غرضها الاتّصال و التّفاهم لتحقيق أغراض النّاطقين بها، نجد مفرداتها لا تثبت على حال بل هي في تغيّر مستمر تبعًا لتغيّر الحياة و تطوّرها. و بما أنّ للألفاظ دور فعّال في التّعامل الإنساني باعتبارها أهمّ وسيلة يستخدمها الأفراد في أحاديثهم اليومية، ارتأنيا أن ندرس ما طرأ عليها من حيث دلالتها باعتبارها «ترجمات للفكر الإنساني، و بالتّالي ينعقد عليها وجود هذا الفكر في العالم المحسوس، و تعبّر عن المعنى و الدّلالة »[17] في ظلّ هذا التّطور الدّلالي الّذي يعدّ جانبا من جوانب التّطوّر الواسع الّذي يصيب اللّغة في أصواتها و صيغها و دلالتها، فيؤدّي إمّا إلى تضييق معناها أو انحطاطه، فيُهمل في الاستعمال، أو قد تبقى رواسب قديمة فتترّسب إلى اللّغة المعاصرة، فتصبح غريبة المعنى، كما يسبّب ندرة استخدام الألفاظ و هجرها تحت عامل التّأثير و التّأثّر غموض دلالتها، وكذلك عامل اللّهجات و انقسامها، و بالإضافة إلى العامل النّفسي و الحضاري، و الصّراع اللّغوي، و الاحتكاك الفكري، كلّ هذا إلى جانب التّطور اللّغوي يمثّل إشكالا في الدّلالة كما ينتج عنه تغيير المعنى، وهناك عامل مهمّ ومؤثّر في اللّغة العربية و هو القرآن الكريم الّذي أحدث ثورة في تاريخها ، فقد انتقل بالعربية من ضيق إلى سعة و من فقر إلى غنى[18].

---

[17]- علم النفس اللغوي، نوال عطية ، المكتبة الاكاديمية، القاهرة (مصر)، ط2 ، 1995 م، ص 62 .

[18]- ينظر: الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (مصر)، د. ط ، 2002 م ، ص 102 .

هذا ما جعلنا نتتبّع بعض الألفاظ الخاصّة بمجال الفلاحة في لهجة مدينة الرّمشي ومحاولة دراستها وكشف ما طرأ عليها من تغيّر و إلى أي مدى تطوّرت دلالتها من خلال منطوق فلّاحي هذه المدينة .

1- أسباب التغير الدّلالي:

للتّطوّر الدّلالي أسباب مختلفة تؤدّي إليه نجملها فيما يلي :

1.أ- العامل الاجتماعي والثّقافي:

من المعروف أنّ حياة الإنسان الأوّل ليست مثلما هي عليه في الوقت الحاضر، بحيث كان تفكيره يقتصر على ما هو موجود ومحسوس، ولا يرقى به إلى مستوى التّجريد، هكذا هي حال الدّلالة بدأت بالمحسوسات ثم تطوّرت بعد ذلك إلى الدّلالات المجرّدة.

غير أنّ هذا الانتقال يكون في أغلب الأحيان تدريجيّا، فإمّا تتعايشان هاتان الدّلالتان و تسيران جنبا إلى جنب، و إمّا يطغى استعمال الدّلالة المجرّدة على الحسيّة.

كما أنّه قد تؤثّر فئة معيّنة في ميدان معيّن بما تملكه من ثقافات مختلفة على الألفاظ فتجعلها تتماشى مع مجالها، وهذا راجع لما يوجد بين طبقات النّاس وفئاتهم من فروق في الثّقافة ومناحي التّفكير ومستوى الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى التّقاليد و العادات، وما تزاوله كلّ طبقة من أعمال وتطلّع به من وظائف، و الآثار العميقة التي تتركها كلّ وظيفة أو مهنة في عقلية المشتغلين بها ... فمن الواضح أنّ مثل هذه الفوارق و غيرها من شأنها أن تصبغ الألفاظ بصبغة تجعلها تأخذ معاني أخرى [19].

[19]- ينظر: علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي، ص173 .

هذا ما يؤكّد أنّ كلّ مجموعة إنسانية، مهما صغر حجمها لها لغتها الخاصة بها، فلا ريب إذن أن تتّفق على معاني ألفاظ على نحو خاص أو تدخل عليها بعض التغيّر الّذي يناسبها و يميّزها عن غيرها، وذلك قد يؤدّي إلى اختلاف دلالتها، فكلمات (حقل، معمل، عملية) لها مفاهيم خاصّة لدى الطّبقات الاجتماعية التي تستعملها و التي يصعب إدراكها على من لا ينتمي إلى هذه الطبقات [20].

إلاّ أنّ هذا العامل الاجتماعي و الثّقافي، قد يؤدّي إلى تضييق دلالة بعض الكلمات و هذا ما لمّح إليه أحمد مختار بقوله:« و يمكن القول على وجه العموم إنّ هذا الإتجاه في مثل هذه الحالات يميل نحو التّضييق في معنى الكلمة حين تنتقل من الاستعمال العام إلى المجالات المتخصّصة» [21].

وبالإضافة إلى ذلك، فإنّه قد يستعمل مدلول قديم، فيطلق على مدلول جديد رغم التّطوّر الذي طرأ عليه كمثلا: "القصعة" و "الطّاحونة" و "السّفينة"، إذ كانت هذه الألفاظ تدلّ على أشياء مصنوعة من الطّين أو الخشب إلاّ أنها حديثا لم تتغيّر بشكل يكاد يذكر و ما زالت دلالتها القديمة هي نفسها ما هي عليه حديثا [22]، بالرّغم من تغيّر و تطوّر الشّكل و المادّة الّتي صنعت منها هذه الأدوات .

1.ب- العامل النّفسي:

قد يلجأ المجتمع إلى تعديل بعض الألفاظ لما لها من معاني منبوذة، و هذا ما يطلق عليه «اللاّمساس» [23]؛ إذ يحدث أنّ المصطلح البديل يكون له معنى

---

[20]- ينظر: علم اللغة بين القديم و الحديث، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة الجبلاوي شبرا (مصر)، ط2، 1402 هـ – 1986 م ، ص 221 .

[21]- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة (مصر)، ط2 ، 1988 م، ص 239 .

[22]- ينظر: علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص 70 – 71.

[23]- المرجع السابق، الصفحة نفسها .

قديم، ممّا يؤدّي إلى تغيّر دلالة اللّفظ، فكأنّ اللاّمساس يؤدّي إلى التّحايل في التّعبير أو ما يسمّى بالتّلطّف؛ وهذا التّلطّف هو السّبب في تغيير المعنى، أو رفض الكلمة تماما، عندما تكون قبيحة الدّلالة أو تتّصل بالقدارة أو الدّنس أو ترتبط بمعاني الغريزة الجنسية ، ممّا يؤدّي إلى فقدان اللّغة لبعض من ألفاظها التي تعبّر عن هذه النّواحي، فتندثر تلك الألفاظ و تتلاشى و يحلّ محلّها ألفاظا أخرى أقلّ وضوحًا في دلالتها و أكثر غموضا و تعميه [24].

1.ج- عامل الانحراف اللّغوي:

قد تنتقل اللّفظة عن طريق المجاز من معناها الأصلي إلى معنى آخر قريبا منه، وهذا المعنى الجديد إمّا يكون مفهوما و إمّا غير مفهوم، ممّا يؤدّي به إلى انحرافه عن معناه الحقيقي ومثال ذلك: "يد المحراث"، أو "يد المنجل"، فدلالة "اليد" قد انتقلت من حقل دلالي يختصّ به الإنسان إلى حقل دلالي آخر يختص به المحراث أو المنجل.

فالمجاز الّذي آلت إليه دلالة اللّفظ إذن، وظيفته سدّ هذا الفراغ الّذي عجزت عنه الحقيقة في تأدية وظيفتها، فأصبحت الكلمة ذات معنى إضافي، اعتاد عليه النّاطقون وأصبح متداولا فيما بينهم إلى جانب الدّلالة الحقيقية الأولى، هذا ما ذهب إليه كلاّ من بيار جيرو و المسدي حين رآ بضرورة وجود مفهومين للمضمون الدّلالي، بحيث لا تنفي هاتان القيمتان بعضهما البعض، بل تتكاملان و تتعايشان، فكأنّما استعمال اللّغة يقتضي إعطاء تصريف مزدوج للّفظ بين دلالته الحقيقية التي تمت فيه بالوضع الأوّل و دلالته الطّارئة المجازية

---

[24]- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 240، و عوامل التطور اللغوي دراسة في نمو و تطور الثروة اللغوية، عبد الرحمان حمّاد،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان (بيروت)، ط1، 1403 هـ 1983 م، ص 118 .

التّي هي منقولة و محوّلة يستدعيها التّركيب[25].

إلاّ أنّ هذا الانحراف الّذي تؤول إليه الألفاظ يكون فجائيا، بحيث لا يمكن التّنبّؤ بحدوثه في كلمة أو صيغة حين الخروج من مدارها الطّبيعي و الدّخول في طبيعة كلمة أو صيغة أخرى لوجود متابعة حقيقية أو متوهمة بينهما[26].

1.د- العامل التّاريخي:

لاشكّ أنّ الكلمات معرّضة للتّغير والتّطور ويبدو ذلك واضحا عند انتقالها من جيل إلى آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى، وهذا الانتقال لا بدّ و أن يصاحبه تغيّر في مدلول هذه الكلمات نظرا لما يحدث من تغيّر و تطوّر في الحياة الاجتماعية و السّياسية والاقتصادية وغيرها ممّا يتّصل بحياة الأفراد من قريب أو بعيد[27]، كأن ينتقل المجتمع مثلا من البداوة إلى الحضارة، أو من الزّراعة إلى الصّناعة، وهذه النّقلة الاجتماعية تؤثّر في اللّغة لاسيما جانب المفردات، إذ لابدّ لها أن تتغيّر حتى تستوعب الحياة الجديدة و تعبّر عنها، و هذه المعاني التي تحملها هذه الألفاظ تسير في التّعبير عنها عبر مراحل تاريخية منذ نشأتها، وهو ما ينطبق على اللّغات البشرية التي قطعت مراحل طويلة، و تعاقبت عليها أجيال منذ أقدم العصور، و كلّ جيل له سيماته الّتي ورثها أو اكتسبها ممّا يؤثّر بها على لغة المجتمع الذي ينتمي إليه.[28]

---

[25]- ينظر: علم الدلالة، بيار جيرو، ترجمة منذر عياش، دار طلاس، دمشق (سورية)، ط1، 1988 م، ص3، و اللسانيات و أسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط،1986م،ص 96 .

[26]- ينظر : معجم ألفاظ القيم الأخلاقية و تطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم، نوال كريم زرزور، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت (لبنان)، ط1، 2001 م، ص 22.

[27]- ينظر: عوامل التطور اللغوي ، عبد الرحمان حماد ، ص 119 .

[28] ينظر: علم اللغة بين القديم و الحديث ، حامد عبد الغفار هلال ، ص 284 .

هذه هي أهمّ العوامل التي تتحكّم في التّطور الدّلالي أو تغيّر المعنى فتجعله يأخذ أشكالا مختلفة فإمّا يأتي هذا المعنى عامّا و إمّا خاصًّا، و إمّا يكون بنقل اللّفظ من مجال إلى مجال.

2- أشكال التطور الدّلالي:

2.أ- تعميم الدّلالة:

وهي ظاهرة اكتساب الكلمة أو الكلمات لمعنى أو معاني أوسع ممّا كانت فيه، و يقع توسيع المعنى أو امتداده عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، فيصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السّابق، ويصبح مجال استعمالها أوسع من قبل[29].

وهذا ما ذهب إليه ابن فارس بقوله:«العامّ الّذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئا »[30]، و ذلك كقوله سبحانه و تعالى:﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[31]، وقوله جلّ ثناؤه: ﴿ذَالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[32].

أمّا ابن دريد فكانت له هو الآخر وقفة مع هذه الظّاهرة، فقد ذكر في (باب الاستعارات) أن النُّجْعة: هي طلب الغيث، ثمّ كثر فصار كلّ طلب انتجاعا، و الأصل في المنيحة: أن يُعطى الرّجل النّاقة أو الشاة، فيشرب لبنها و يجتز صوفها، ثمّ صارت كلّ عطيّة منيحة، والخُرسُ: هو ما تطعمه المرأة عند نفاسها ثمّ صارت الدّعوة للولادة خُرسًا، والغيث: المطر ثمّ صار ما نبت بالغيث غيثًا[33].

---

[29]- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 243 – 244 .
[30]- الصاحبي في فقه اللغة ، ص 159 .
[31]- من الآية: 45 من سورة النور.
[32]- الآية: 102 من سورة الأنعام.
[33]- ينظر: الجمهرة، 3 /432 .

ونحو ذلك أيضا ما ذكره الثّعالبي في فصل (العموم بعد الاختصاص)، و استدلّ على ذلك بقوله سبحانه و تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[34]، فقد ذكر الله تعالى السّبع المثاني ثم أتى بالقرآن الكريم العامّ بعد ذكره إياه[35].

وللفارابي (ت 339 هـ) كلام حول مفهوم التّعميم، حيث يقول: « والاسم الذّي يُقال بعموم و خصوص هو أن يكون اسما لجنسٍ تحته أنواع، و يكون ذلك الاسم بعينه لقبا لبعض أنواع ذلك الجنس، بما هو ذلك النّوع، فلذلك الاسم يقال على ذلك النّوع من جهتين مختلفتين: إحداهما على العموم من حيث يشارك به سائر الأنواع القسيمة له، إذا كان اسم الجنس يقال على جميع أنواعه ...»[36].

و من أمثلة ظاهرة التّعميم في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي ما يلي:

1- الحشيش:

"النّبات اليابس"[37]

عرفت اللّفظة بعض التّغير في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، بحيث أصبحوا يطلقون لفظ (الحشيش) على النّبات اليابس والأخضر معا بعدما كان يدلّ هذا اللّفظ على اليابس فقط، فالحشيش من قولهم حشّت يده تُحشّ حشًّا، و يقال للجنين إذا يبس في بطن أمّه حشيش، فهذا الاشتقاق جعل الحشيش

---

[34]- الآية: 87 من سورة الحجر.

[35]- ينظر: فقه اللغة و سرّ العربية ، ص 345 – 346 .

[36]- العبارة، أبو نصر الفرابي تحقيق، محمد سليم سالم الهيئة المصرية للكتاب (مصر)، د.ط،1976م، ص 2، نقلا عن الجوانب الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده (ت 458 ه)، مخطوط رسالة دكتوراه دولة في اللغة العربية، إعداد عبد القادر سلامي، إشراف د. زبير دراقي، جامعة تلمسان، 1423هـ – 2002 م، ص 160 .

[37]- مقايس اللغة ،ابن فارس ، 10/2، مادة (حشيش).

حقيقة في اليابس دون الرّطب، و لا يقال للرّطب حشيش[38].

وبالتّالي يكون اللّفظ قد انتقل من معنى خاص كان فيه إلى معنى أعمّ وأشمل منه، فكما هو معروف أنّ العامّة من النّاس يكتفون بالفهم العام و بالقدر التّقريبي الذّي يحقّق هدفهم من الكلام والتّخاطب ولا يكادون يحرصون على الدّلالة الدّقيقة والمحدّدة التّي تشبه المصطلح العلمي، وهم لذلك ينتقلون من الدّلالة الخاصة إلى الدّلالة العامّة إيثارا للتّسيير على أنفسهم والتماسا لأيسر السّبل في خطاباتهم[39].

2- **المَضْمَـد:**

«المَضْمد والمَضْمَدَةُ: النِّيرُ: الخشبة المعترضة على عنقي الثّورين، والّتي تُشَدُّ به المضربة»[40].

الملاحظ أنّ هذه اللّفظة في منطوق هؤلاء الفلاّحين، لم تعد مقتصرة فقط على الخشبة التّي تشدّ بها المضربة، بل اتّسع مدلولها، و أصبحت تدلّ على كلّ الآلة التي يجرّها الحيوان.

و بهذا تكون الكلمة قد انتقلت من دلالة خاصة تخصّ جزء معينا من الآلة إلى دلالة كلّية تخصّ الآلة ككل، و الواقع أن مثل هذه الظّاهرة كثيرا ما نلحظها حينما تكون لدينا كلمة تدلّ في أصل وضعها اللّغوي على معنى خاصّ بها دون غيرها، ثم يحدث اتّساع في دلالتها فتصبح تتضمّن معاني عديدة[41].

---

[38]- ينظر: إصلاح المنطق ، ابن السكيت، شرح و تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السّلام محمد هارون،دار المعارف، القاهرة (مصر) ، ط4 ، د.ت ، ص 367 .

[39]- ينظر: دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، ط6 ، 1991 م، ص 55 .

[40]- الإفصاح في فقه اللّغة، حسن يوسف موسى و عبد الفتاح الصعيدي، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر) ط2، 1348 ه – 1929 م،2 /1066 .

[41]- ينظر: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة ، محمد سليمان ياقوت ، ص 431 .

3- غَـــرَسَ:

غَرَس الشّجر يغرسه أنبته في الأرض[42].

بقيت الكلمة بهذا المفهوم عند فلاّحي مدينة الرّمشي، وهـــي غـــرس الشّجر، إلاّ أنّها شملت أنواعا أخرى من الغرس، كغرس الخـــضر والفواكـــه و غيرهما.

وبالتّالي، فاللّفظ عُمِّم معناه بعدما كان مقتصرًا على نوع واحد مـــن الغرس، و تعميم الدّلالة في هذه الحالة كان من ورائه التماس النّـــاس لأيـــسر السّبل في خطاباتهم العادية، فهم لا يكلّفون أنفسهم بتخصيص اسم نوع بعينه، و إنما يطلقون هذا اللّفظ على كل أنواع الغرس، وهم يقولـــون: (اخْطَـــاكْ الغَرس في مَارس)، وهو مثل يضرب لمن فاته شيء قبل أن يدركه.

كما وردت لفظة الغرس في قول الشّاعر أبي فراس:

صَنَائِعٌ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَـــت ... وَغَـرسٌ طَـابَ غَارِسُـهُ فَطَابَـا[43].

فتعميم دلالة الكلمة و نقلها من معناها الخاص الضّيق إلى معنى أوسع، هو ما يجنح إليه الكثير من المتكلّمين فهم يكتفون بالقدر البـــسيط المقـــارب للمفهوم الذّي يُحقّق لهم الغاية التّي يبحثون عنها من خلال كلامهم، و لهـــذا نجدهم يفضّلون اللّفظ الذّي يدلّ على مفهوم شائع بين النّاس على الّذي يؤدّي مفهوما خاصا بجهة معيّنة، و هم لذلك يقتصرون على ما يدّل على المفـــاهيم

---

[42]- ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروز الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1415ه - 1995 م، 367/2، مادة (غرس)، و المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرى ، دار الحديث القاهرة (مصر)، ط1، 1421 ه -2000 م، ص 265، مادة (غرس) .

[43]- ديوان أبي فراس، تحقيق و شرح، كرم البستاني، رواية عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت (لبنان) ، ط1، 1412 ه- 1992 م، ص 15 .

العادية أمّا المفاهيم الدّقيقة فيكتسبونها بمرور الأيام عندما يختارون جانب للتّخصص فيه[44]. فالمتكلّم لا يحتاج دائما إلى كلّ ما هو ثابت في اللّغة للتّعبير عمّا يريد، و إنّما يقنع في ذلك بالألفاظ التّي تدلّ على المفاهيم العادية و بعض المفاهيم العلمية و الفنية و الحضارية ممّا تقتضيه الحياة[45].

إلاّ أن تعميم الدّلالة و إن كان أقلّ شيوعا في اللّغات من تخصيصها و أقلّ أثرًا في تطوّر الدّلالات و تغيرها[46]، لا ينفي و الحال هذه أن تكون كتب اللّغة و معاجمها قد احتفظت لنا بألفاظ أطلقت في الأصل على معانٍ خاصّة، ثم عُمّم استعمالها، و تعارف عليها النّاس، وانتشر استعمالها الجديد بقدر ما تناسوا الاستعمال الأوّل وابتعدوا عنه[47].

2.ب- تخصيص الدّلالة :

يمكن تفسير تخصيص الدّلالة بعكس ما فُسِّر به تعميمها، إذ في هذا النّوع يضيق مجال استعمالها فتنتقل اللّفظة من معناها العامّ الّذي كانت تدلّ عليه إلى معنى خاص، ويسمّى أيضا بتقليص الدّلالة، وهو صرف اللّفظ من جهة العموم إلى جهة الخصوص[48]، و يكون ذلك « بقصر اللّفظ العامّ على بعض أفراده و تضييق شموله ».[49]

و لابن فارس رأي في هذه الظّاهرة، فيقول في (باب العموم

---

[44]- ينظر: مجلة اللسانيات ، مدخل إلى علم اللسان الحديث، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، عبد الرحمان حاج صالح ، معهد العلوم اللسانية و الصوتية ، الجزائر، 1974 م ، ص 49 .

[45]- ينظر: المرجع نفسه، ص 49 -50 .

[46]- ينظر: دلالة الألفاظ، ص 154

[47]- ينظر: بعض مظاهر علم الدلالة العربي من خلال ديوان حسان بن ثابت، إعداد عمر صبور، مخطوط رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، إشراف«عاطف عبد الهادي علام، معهد اللغة العربية و آدابها، الجزائر 1990 م، ص 113.

[48]- ينظر: الأحكام في أصول الإحكام، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، دار الفكر العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1417 ه – 1996 م، ص 386 .

[49]- فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك، ص 219 .

و الخصوص) من الصّاحبي: « و الخاصّ الّذي يتحلّل فيقع على شيء دون أشياء، و ذلك كقوله جلّ ثناؤه ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[50]، و كذلك قوله سبحانه و تعالى : ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[51]، فخاطب أهل العقل».[52]

و نحو ذلك أيضا ما أورده الثّعالبي من أنّ العرب تذكر الشّيء على العموم، ثمّ تخصّص منه الأفضل فالأفضل، و مثّل له بقوله تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾53. و إنّما أفرد اللّه سبحانه و تعالى الصّلاة الوسطى من الصّلاة وهي داخلة في جملتها، و هي منها للإختصاص و التّفضيل [54]، وهو ما ذهب إليه ابن دريد من أنّ الأصل في لفظ الحجّ هو قصدك الشّيء و تجريدك له، ثمّ انحصر استعماله في الإسلام في قصد البيت الحرام [55] .

و من قبيل هذا النّوع من التّطور في العربية، تخصيص كلمة الطّهارة لمعنى الختان في أذهان النّاس، و تخصيص كلمة (الحريم) للدّلالة على النّساء بعد أن كانت تُطلق على حمى محرم وكذلك إطلاق كلمة العيش على الخبز في بعض اللّهجات العربية [56].

و من أمثلته أيضا في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي نجده في قولهم:

---

[50]- الآية: 50 من سورة الأحزاب.
[51]- من الآية: 197 من سورة البقرة
[52]- الصّاحبي في فقه اللغة ، ص 159 .
[53] : الآية: 328 من سورة البقرة .
[54]- ينظر: فقه اللغة و سرّ العربية، ص 345 .
[55]- ينظر: جمهرة اللغة ، 434/3
[56]- ينظر: التطور اللغوي مظاهره علله و قوانينه، ص 116.

1- الأرض:

هي أحد كواكب المجموعة الشّمسية، وهو الكوكب الّذي نسكنه، و الأرض الجزء منه، و في التّنزيل العزيز ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾57،و أرض الشّيء أسفله [58].

الملاحظ على هذه الكلمة أنّها لم تحافظ على معناها العامّ في منطوق فلاّحي مدينة الزّمشي، و وإنّما اقتصرت على جانب من ذاك المعنى، و هي الأرض الزّراعية أو مقدار معيّن من الأرض سواء كانت صالحة للزّراعة أو غير صالحة، فاستخدام الكلمة في مجال معيّن يعين على إكسابها معنى خاص بهذا المجال، فلفظة الأرض ممّا أعان على تضييق معناها هو كثرة استعمالها في مجال الزّراعة، و هذا ما ذهب إليه عبد الواحد وافي حين رأى أن استعمال اللّفظ في فن أو صناعة بمعنى خاص و ضيّق يجرّدها في هذا الفنّ أو في هذه الصّناعة من معناها اللّغوي و يقصرها على مدلولها الاصطلاحي[59]، فاللّفظ هنا وقع في سياق معيّن من الكلام ممّا أضفى عليه هذه الصّفة وجعله خاصًا.

فالتّخصيص إذن في هذه الحالة جاء نتيجة إضافة بعض الملامح التّمييزية لهذا اللّفظ ممّا قلّص دلالته، فهو في الاستعمال الأوّل وضع لمعنى عام شمل عدّة جزئيات بفتح المجال أمام احتمالات كثيرة، ثم انحصرت دلالته في معنى ضيّق، فالأرض هي في الأصل عامة تدلّ على الكوكب ككلّ إلّا أنّ الفلاّح أضاف عليها لفظ الزّراعية ممّا جعلها خاصة عنده تقتصر على ذاك المكان الّذي يمارس فيه عمله من حرث و غرس و غير ذلك من الأمور الزّراعية.

---

[57]- الآية: 55 من سورة يوسف .

[58]- ينظر: لسان العرب،7 /112، مادة (أرض) و المعجم الوسيط ،97/1، مادة (أرض) .

[59]- ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص 138 .

ونجد فلاّحي مدينة الرّمشي يتناولون هذا المصطلح بهذا المفهوم الضيّق، فيقولون (اللّي بَاعْ أَرْضَهْ بَاعْ عَرْضَهْ)، و هو مثل يبرز ما للأرض من قيمة عند هؤلاء الفلاّحين كما جاءت لفظة الأرض في قول ابن عنين و هو يحنّ إلى بلده دمشق فيقول:

كُمّيت إذا ما نِلتُ مِنها ثلاثةً ... مَرأيتُ السّماكَ الأرضِ والأرضَ كالسّما [60]

2- الحَـــبُّ :

الحَبّ : الزّرع، صغيرًا كان أو كبيرًا، واحدته حبّة، و الحَبُّ: معـــروف مستعمل في أشياء جمّة[61].

ما يمكن قوله على هذا اللّفظ في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، هو أنّه جاء بمفهوم أخصّ من ذاك الّذي أوردته المعاجم العربية، حيث شمل نوعين فقط من أنواع الحَبّ، وهما (القمح و الشّعير) دون الأنواع الأخرى، وهم يقولون: (كُلْ حَبُّ وْلِيهْ سَوّامَه)، و هو مثل يُضرب كناية على أن لكلّ شيء في هـــذه الدّنيا و إلاّ و جعله الله سبحانه تعالى ذا قيمة.

و يبدو أنّ الانتقال الدّلالي هنا يقوم على مبدأ التّخصيص، و التّخصيص يدلّ على تضييق المعنى و ذلك بقصر العامّ على بعض أفراده، كما يمكـــن أن يفسّر أيضا بأنه نتيجة لشيوع نوع واحد من مجموعة من الأشياء أو الأمور التي تدلّ عليها الكلمة [62].

وقد ورد لفظ الحَبّ في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها ما جاء في

---

[60]- ديوان ابن عنين شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر، تحقيق خليل مردم بك ، دار صادر بيروت (لبنان) ، ط2 ، د.ت، ص 81 .

[61]- ينظر: لسان العرب ، 239/1 ، مادة (حَبَبَ) ، و مقايس اللغة ، 26/6 ، مادة (حَب) .

[62]- ينظر: مصنّفات اللحن و التثقيف اللغوي حتى القرن العاشر، أحمد محمد قدور، منشورات وزارة الثقافة، دمشق (سورية)، د.ط ، 1996 م، ص 103 .

سورة الأنعام، حيث يقول سبحانه و تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [63]، و يقول المفسرون في هذه الآية الكريمة أن الحبّ شامل لكلّ الحبوب التي يباشر النّاس زرعها و التي لا يباشروها كالتي تنبت في البراري و القفار، فيفلق الحبّ عن الزّروع و النباتات على اختلاف أنواعها و أشكالها [64].

والحَبّ هو في الحقيقة المنتوج الأوّل و الأساسي الذي يعوّل عليه الفلاّح، و ينتظر منه غلّته، و هو الأصّل في رزقه، حيث يقول الكفوي (ت 1094هـ - 1683 م) : الحَبّ جنس من الحنطة و الشّعير و الأرز وغيرها من أجناس الحبوبات الأخرى وهو الأصّل في الأرزاق، و سائرها تابعة له، ألا ترى أنّه إذا قلّ الحبّ حدث القحط بخلاف سائر الثّمرات.[65]

3- الحصيدة:

المزرعة إذا حُصدت، و الحَصيدة: أسافل الزّرع التي تبقى لا يتمكن منها المنجل ج. حصائد وحصائد الألسنة، كل شيء قيل في النّاس باللّسان [66].

يبدو أن اللّفظة حافظت على نصيب من معناها في منطوق فلاّحي مدينة الرمشي، و هو((أسافل الزرع الذي لا يتمكن منها المنجل)، فكان انتقالا دلاليّا من معنى عام إلى معنى أخصّ منه، و ذلك بالاقتصار فقط على بعض

---

[63]- الآية: 95 من سورة الانعام .

[64]- ينظر: عالم النبات في القرآن الكريم، عبد المنعم فيهم الهادي و دنيا محسن بركة، ص 53 .

[65]- ينظر: الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحيني الكفوي، قابلة و أعدّه، عدنان درويش و محمد المصري، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة (مصر)، ط2 ، 1413 هـ -1992 م ، 251/2.

[66]- ينظر: لسان العرب ، 51/3 ، مادة (حصد)، و مقاييس اللغة، 71/2، مادة (حصد)، و المعجم الوسيط، 78/1 ، مادة (حصد) .

أفراد جنس هذا المعنى الكلّي، فالفلّاح أضاف للحصيدة بعض الملامح جعلها تختص عنده بهذه الصّفة دون الصّفات الأخرى.

4-الفلاحة :

الحراثة و صناعة الفلّاح[67].

انكمشت دلالة هذا اللّفظ في منطوق هؤلاء الفلاّحين، ذلك أنّهم يقصرونها فقط على زراعة الحبوب و الخضر والفواكه، فيقولون: (الفْلاَحَة جَاتْ بْغَلّتْهَا)، يعني أنّ مردود زراعة هذه الأنواع أعطت غلّة جيّدة.

و بالتّالي ما يمكن قوله على هذه الكلمة، هو أنّها جاءت في أصل الوضع عامة شملت المهنة ككلّ، ثم غدت بعد ذلك مقتصرة على جانب خاصّ، فالتّخصيص جاء هنا ليدلّ على طائفة خاصة تمثّل نوعها خير تمثيل[68]، فلفظة الفلاحة هي في ذهن الفلاّح تدلّ على المهنة بصورة عامة، إلّا أنّه يقصرها فقط على جزء من هذا النّوع العام فيقول: (فَلّحْتْ الگَمْحْ أو فَلّحْتْ الحُمُّص و هكذا...) بمعنى زرع القمح أو الحمص...

فتخصيص دلالة اللّفظ و تضييقها إذن يجده المتكلّم سبيلا يبعده عن إدراك العموميات، لأن النّاس في حياتهم اليومية عادة ما ينفرون من الكلّيّات و يفضلون الدّلالات الخاصّة التّي تعيش معهم فيرونها و سيمعونها و يلمسونها، و لذلك يسهل عليهم تداولها و التّعامل بها في حياة أكثر ما فيها ملموس محسوس[69]، و هم لقصور في الذّهن أحيانا، أو بسبب الكسل والتماس أيسر السّبل أحيانا أخرى يعمدون إلى بعض تلك الدّلالات العامة و يستخدمونها

---

[67]- ينظر: الصّحاح تاج اللغة و صحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق إميل بديع يعقوب و محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ، ط1 ، 1420 هـ – 1990م، 78 ، مادة (فلح) ، و قطر المحيطبطرس البستاني ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط2، 1995م،ص 454 .

[68]- ينظر: التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه ، ص 115 .

[69]- ينظر: عوامل التطور اللغوي ، أحمد عبد الرحمان حمّاد ، ص 126 .

استخداما خاصًا، فيقدّر لمثل هذه الاستخدامات و الاستعمالات في الدّلالة أن تشيع وتنتشر بين جمهور النّاس، فتتطوّر بذلك دلالات الألفاظ من العموم إلى الخصوص، و يضيق مجالها و تقتصر على جانب منها [70].

3.ج- الانتقال من مجال إلى مجال:

هو انتقال الكلمة من معنى معيّن إلى معنى آخر، شرط أن يكون بين المعنيين علاقة مشابهة أو مجاورة فتصبح الكلمة حقيقية في المعنى الّذي اكتسبته بعدما كانت مجازًا فيه؛ فهو إذن تغيير مجال استعمال اللّفظ بطرق أبرزها المجاز و الاستعارة [71]، فالمجاز يكون بالعبور باللّفظة من حقل دلالي إلى حقل آخر وكذلك الاستعارة، فاللّفظة قادرة على التّحول الذّاتي، أي على أن تتحوّل دلالتها ضمنيًّا عبر الزّمن، و تشبه هذه العملية عملية الانسلاخ في الكائنات الحيّة، حيث تجدّد اللّفظة معناها دون أن تفقد جوهرها [72].

وممّا جاء على هذا النّسق، ما أورده1ابن مكّي الصقلّي حول كلمة (الطباخ) فهي في الأصل وضعت للقوّة والسّمن، ثم استعملت في غيرهما، فقالوا فلان لا طباخ له، أي لا عقل له، ولا خير عنده [73].

ومن الكلمات التي تبدّل مفهومها عن طريق النّقل كلمة "الشّنَب"، فهي تعني جمال الثّغر وصفاء الأسنان في حين أصبحت في الاستعمال الحديث بمعنى الشّارب [74].

---

[70]- ينظر: دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، ص 153 .

[71]- ينظر: معجم ألفاظ القيم الأخلاقية و تطورها الدّلالي بين لغة الشعر و لغة القرآن، نوال كريم زرزور، ص 22 .

[72] - ينظر: الانترنيت .

[73] - ينظر: تثقيف اللّسان و تلقيح الجنان، ابن مكي الصقلي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان)، ط1 ، 1410 هـ – 1990 م ، ص 236 -237 .

[74]- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 248.

ومن أمثلة ما جاء على هذه الشّاكلة؛ أي نقل اللّفظ من حقل دلالي إلى آخر في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي نجد ما يلي:

1- البُـــور:

البُور الرّجل الفاسد الّذي لا خير فيه، و البور الأرض لم تزرع[75].

يبدو أنّ اللّفظة شهدت تطوّرًا في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، ذلـــك أنّها لم تعد تعني عدم النّفع، و إنّما صارت تطلق على الزّرع الّذي لا يسقى إلاّ من ماء المطر.

و بهذا تكون الكلمة قد انتقلت من مجال إلى مجال آخر، فأصبحت فيـــه غريبة عن معناها الأوّل.

فاللّغة أيّا كانت -كما هو معروف لدينا – دائمة التغيّـــر والحركـــة، و هذه الحركة يستتبعها نموّ و تطور في بعض جوانبها[76].

و لعلّ سبب هذا التغيّر الّذي طرأ على لفظ (البور) يعـــود إلى عـــدم استعماله بمعناه الحقيقي في مجاله، فالدّلالة قد تـــضيق أو تـــنحطّ فتـــهمل في الاستعمال، وقد تبقى رواسب قديمة فتتسرّب إلى اللّغة المعاصرة، فتصبح غريبة المعنى، كما يسبّب ندرة استخدام اللّفظ غموض معناه كلّ ذلك يمثل إشـــكالا في الدّلالة كما ينتج عنه تغيير الدّلالة[77]، فلفظة البور ممّا جعلها غريبـــة عـــن معناها الأوّل هو استعمالها الغير حقيقي. إلّا أنّ ما جمع بين المعنيين الحقيقـــي و المجازي هو فعل التّرك و الإهمال، فمثلما تترك الأرض بلا زرع كذلك يُترك الزّرع بلا سقي إلّا من ماء المطر.

---

[75]- ينظر: لسان العرب، 86/4 ، مادة (بور).
[76]- ينظر: الدلالة اللفظية ، محمد عكاشة ، ص 102 .
[77] - ينظر: المرجع نفسه، ص 102 .

2- البحيـــرة:

«البَحِيرَة من الإبل التي بحُرت أذنها أي شُقّت طولا، و يقال: هي الّتي خُلّيت بلا راعٍ و هي أيضا الغزيرة » [78].

الملاحظ على هذه الكلمة أنّها وردت بمفهوم آخر عند فلاّحي مدينة الرّمشي، وهو قطعة من الأرض يزرع فيها نوع معيّن من الخضر أو الفواكه، فانتقلت اللّفظة بذلك من وسط إلى وسط بما يحقّق انتقالا دلاليّا من مجال الحيوانية إلى مجال حسّي آخر اكتسبت فيه دلالة أخرى.

و يبدو أنّ القرينة الجامعة بين المعنين تتمثّل في صفة الغزارة و الكثرة والتّجمع الّتي تحملها كلتا الدّلالتين فمثلما تكون الإبل كثيرة ومتجمعة في مكان ما، تكون كذلك القطعة المزروعة من الأرض بخلاف غيرها من القطع الأخرى.

3- الجـــرّار:

الجرّار هو الجيش العظيم لأنه يجرّ أتباعه و ينجرّ، و عسكر جرّار كثير [79].

ما يمكن ملاحظته على هذه الكلمة هو التّغيير المطلق الّذي طرأ عليها، فقد وردت في المعاجم العربية بمعنى الجيش الّذي يجرّ أتباعه، و هذا يختلف عن المفهوم الحديث و هو آلة يستعملها الفلاّح لجرّ المحراث أو العربة ....

ولو أردنا أن نتبيّن ما جمع بين المعنيين الأوّل والثّاني، لوجدنا أنّ اللّفظ في كلتا الحالتين مرتبط بفعل الحركة و الجرّ ، فكما أنّ الجيش يجرّ أتباعه فالجرّار (tracteur) أيضا يجرّ المحراث أو العربة...

---

[78]- ينظر: لسان العرب، 43/4، مادة (بحر)، و القاموس المحيط، 11/2 ، مادة (البحر) .
[79]- ينظر: لسان العرب ، 130/4 ، مادة (جرر) و مقاييس اللغة ، 411/1 ، مادة (جرّ) .

أمّا عن منطوق مدينة الرّمشي، فقد أتفقوا على لفظ (tracteur) الّـذي هو متداول عندهم لاسيما بين الفلاّحين، و من الملاحظ أن الكلمـة أجنبيـة اكتسبها أهل المنطقة بحكم ما شهدته هذه الأخيرة من استعمار، لأنّ النّاطقين إذا عثروا على شيء جديد لم يكونوا يعرفونه من قبل من الأشياء المادية أو من المعاني ، اضطرّوا إلى تسميته، و هم في ذلك إمّا يستعينوا بكلمة موجودة قديما، معناها قريب من المطلوب، و إمّا يخترعوا كلمة جديدة و إمّا يستعيروا كلمـة أجنبية، وأكثر ذلك إذا كان الشّيء أجنبيا أيضا، يأتيهم من خارج بلادهـم، و اسمه معه [80].

كما أنّ نقل اللّفظ من مجال إلى مجال آخر يساعد على نـسيان المعـنى الأوّل، و هو ما أورده إبراهيم أنيس في قوله :« قد يتغيّر معنى الكلمة في لهجة من اللّهجات، ثمّ يمرّ زمن طويل خلاله يُنسى المعنى الأصلي، وتلزم تلك اللّهجة استعمال هذه الكلمة في المعنى الجديد دون سواه» [81]، فكلمة الجـرّار يكـاد ينحصر مفهومها في هذه الدّلالة الجديدة فقط، في حين تُنوسيت تلك الـدّلالة القديمة بسبب قلّة استعمالها الحقيقي.

ويبدو أنّ هذا المعنى الجديد الّذي صار عليه اللّفظ، لا هو خـاصّ و لا هو عامّ بالنّسبة للمعنى الأوّل، بل جاء مساويا له، ولعلّ المفارقة هنا تكمن في كونها حضارية لا غير، باعتبار ما طرأ على الحياة من تطور فهذه المعاني الجديدة التي يفرّ منها التّطوّر الحضاري تعبّر عنها اللّغة في غالب الأحيان عـن طريـق العبور باللّفظة من الحقيقة إلى المجاز [82].

---

[80]- ينظر: التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1992 م، برجشتراسر، أخرجه و صححه و علق عليه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، د.ط، 1417 هـ، 1997 م، ص 207 .

[81]- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، ط6، 1984 م، ص 197.

[82]- ينظر: الانترنيت

4- اللّقمـــة:

ما يهيّئه الإنسان للالتقام[83].

الملاحظ أنّ الكلمة قد أخذت بعدًا دلاليا آخر في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، و هو العضو الّذي يُلقّح به الأشجار أو الكروم .

و يبدو أنّ وجه الشّبه الجامع بين المفهومين، هو حدث التّهيُّـؤ الّـذي يكون قبل فعل الأكل و فعل الغرس، فاستخدام اللّفظ بهذه الطّريقة كما يرى عبد الواحد وافي يسلخه عن معناه الأصلي أو يكاد، ولا ينصرف الذّهن عنـد إطلاقه إلاّ إلى هذا المعنى الجديد [84]، و هو ما لمحناه عند فلاّحي هذه المدينـة، فبمجرّد ذكر لفظة "اللقّمة" حتىّ يذهب تفكيرهم مباشرة إلى ما يلقّـح بـه الشّجر أو غير ذلك.

و بهذا تكون الكلمة قد انسلخت عن معناها الأصلي و أصبحت حقيقيـة في هذا المعنى الجديد الّذي اكتسبته.

5- المـــزود:

جاء في المعاجم العربية أنّ المزود: هو وعاء يجعل فيه الزّاد، و الزّاد هـو طعام السّفر و الحضر جميعا[85].

هذه الكلمة لم تبق بالدّلالة نفسها عند فلاّحي مدينة الرّمشي، و إنّمـا أخذت شكلاً دلاليّا آخر وهو أنّ المزود ما صُنع من جلد الماعز ليوضـع فيـه الحَبّ .

و بالتّالي فاللّفظ قد انتقل من مجال كان فيه إلى مجال آخر، وهذا النّقـل الّذي صار عليه إنّما استند في ذلك إلى مسوّغات الشّكل والوظيفة بين المجالين

---

[83] - ينظر: لسان العرب ، 546/12، مادة (لقم)، و المعجم الوسيط، 621/2، مادة (لقم) .
[84]- ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص 227 .
[85]- ينظر: تاج العروس ، 190/3 ، مادة (زود) ، لسان العرب ، 198/3، مادة (زود) .

اللّذين سار بينهما اللّفظ. إذ الكلمة في انتقالها من مجال إلى مجال لا بـــدّ و أن يكون في هذا الانتقال ما يدل على أنّ بين الدّلالتين رابط يشدّهما والمتمثّل في الشّكل و الوظيفة، فكانت تلك هي علاقة المشابهة الجامعة بين المعنيين.

6- سَبَّـــح:

سبّح الرّجل: قال سبحان الله، و قد يكون التّـــسبيح بمعـــنى الـــصّلاة و الذّكر، نقول: قضيت سبحتي. قال الأعشى:

وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ العَشِيّاتِ والضُّحَـــى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيطَانَ واللهَ فَاعْبُـــدَا [86]

الملاحظ على هذه اللّفظة أنّها قد أخذت بعدا دلاليّا آخر في منطـــوق فلاّحي مدينة الرّمشي، حين انتقلت من معنى الصّلاة و العبادة إلى معنى آخـــر يتمثّل في تلك العملية الّتي يقوم بها الفلاّح حـــين يرمـــي البـــذور في الأرض ليزرعها.

و يبدو أنّ الرّابط الّذي جمع بين المعنيين الأول و الثّاني هو فعل التّتـــابع و التّكرار، فمثلما يذكر الإنسان في تسبيحه أذكارا معينة و يكرّرها، كـــذلك يفعل الفلاّح في رميه لحفنات البذور فهو يقوم بالعملية نفسها حين يقـــذف بالحفنة تلوى الأخرى في زرعه لهذه البذور.

7- السّكـــة:

السّكة هي السّطر المصطّفّ من الشّجر و النّخيل، و سمّيت بذلـــــك لتضايقها في استواء، و من هذا اشتقّت سكّة الدّراهم و هي الحديدة لتـــضايق رسم كتابتها، والسّكة: الطّريق المستوى [87].

---

[86]- ينظر: لسان العرب، 473/2، مادة (سبح)، و مقاييس اللغة، 125/3، مادة (سبح).
[87]- ينظر: مقاييس اللغة ، 59/3 ، مادة (سك) ، و المعجم الوسيط ، 440/1 ، مادة (سك) .

الواضح أن لفظة (السّكة) قد جاءت بمعنى مغاير عند فلاّحي مدينة الرّمشي عن ذاك الّذي ورد في المعاجم العربية؛ و هو السّكة الّتي توضع في المحراث لحرث الأرض.

ولعلّ ما جمع بين المعنيين (معنى سكّة المحراث و أنواع السّكك الأخرى)، هو الشّكل الّذي يعدّ العامل المشترك بين الدّلالتين، فمثلما يكون السّطر المصطفّ من الشّجر والطّريق المستوي، تكون كذلك سكّة المحراث.

و بهذا تكون اللّفظة قد انتقلت من مجال معين كانت فيه إلى مجال آخر، فأصبحت حقيقية بهذا المعنى الجديد الّذي اكتسبته، و لإبراهيم أنيس قول في ذلك : «هناك كلمات كانت تستعمل في الأصل مختلفة الصّورة و المعنى، ثمّ تطوّرت صورة كلّ منها حتّى ماثلت البعض الآخر و هكذا رُويت لنا متّحدة الصّورة مختلفة المعنى، فاشتراك الصّورة في مثل هذه الكلمات لم ينشأ عن اشتراكها في المعنى الأصلي، و إنّما نشأ عن تغيّر في أصوات بعضها ترتّب عليه مماثلة في اللّفظ و اختلاف أصلّي في المعنى »[88]. و في هذه الحالة نجد أن الألفاظ الّتي تحمل نفس الدّلالة تشبه في الكثير من الأحيان تلك الدّوائر المتقاطعة الّتي تشترك في أجزاء متفاوتة من سطحها، فيجعلها الاستعمال في دوران مستمر على الألسنة، وهي في ذلك قد تصادف أن إحداها تنطبق على الأخرى فيصبح للمعنى الواحد لفظان، حينها نقول إنّ إحدى الكلمات قد انتقلت من مجال إلى آخر،و اكتسبت دلالة جديدة تمتُّ للسّابقة ببعض الصّلة[89].

8- العزلة:

عزل الإنسان الشّيء يعزله: إذا نحّاه في جانب، و العُزلة : الاعتزال[90].

---

[88]- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 197 .
[89]- ينظر: دلالة الالفاظ : إبراهيم أنيس، ص 166.
[90]- ينظر: مقاييس اللغة، 4/ 307، مادة (عزل)، و القاموس المحيط ، 571/3 ، مادة (عزل) .

نلاحظ أنّ لفظ (العزلة) قد أخذ مفهوما دلاليا آخر عند فلاّحي مدينة الرّمشي، حيث أصبح يعني مقدار من القمح أو الشّعير يُـدّخر بعـد موسـم الحصاد في الصّيف للشّتاء، وهم يقولون (عَزَّلْت نَصِيْب لاَبَاس بِيْه لَلْحَـوْزَة) كما يطلقون عليه لفظ العَوْلَةُ أيضا، و كلا المصطلحين يؤدّيان نفس المعنى.

والقرينة الجامعة بين الدّلالتين الفصيحة و العامية؛ هو فعـل التّنحيـة و العزل الّذي يعدّ الرّابط و الممثّل لوظيفة اللّفظ في كلا المعنيين، فمثلما نعزل الشّيء حتى تنحّيه بجانب، يعزل الفلاّح هو الآخر نصيب أو مقـدار يحـسبه يكفيه للأيام القادمة.

9- القليـب:

القليب: البئر قبل أن تطوى، و إنّما سمّيت قليبا لأنّها كالشّيء يقلب من جهة إلى أخرى، وكانت أرضا فلّما حفرت صار ترابها كأنّه قليب[91].

هذه الكلمة قد انتقلت من معناها الّذي هو البئر إلى معنى آخـر عنـد هؤلاء الفلاّحين و هو القطعة من الأرض المحروثة.

و يبدو أنّ علاقة المشابهة في هذه الحالة تكمن في فعل "القلب" الـّذي تحمله الدّلالتان، فاللّفظ في كلتا الحالتين يستدعي "القلب" من جهة إلى أخرى حتّى يستكمل معناه، و بالتّالي فالتطوّر الدّلالي قد أخذ شكل تغيير المجال مـن حقل دلالي إلى آخر.

10- القَرْوِيْشَـة:

القَرش: الجمع من ها هنا و ها هنا، بضم بعضه إلى بعـض، و سمّيـت قريش لتجمّعها إلى مكّة، و المُقرّشة: السّنة الشّديدة لاجتماع النّاس و انضمام

---

[91] ـ ينظر: لسان العرب ، 689/1 ، مادة (قلب)، و مقاييس اللغة، 17/5-18، مادة (قلب) .

حواشيهم،و يقال: تقرّشو إذا اجتمعوا[92].

ابتعدت دلالة فعل قرش عند فلاّحي مدينة الرّمشي عن دلالته الفصيحة، و أصبح يدلّ على الهرس و الطّحن، و منه سميّت آلة الطّحن بالقَرْوِيشَة؛ وهي عبارة عن آلة مصنوعة من طين تقوم بطحن الحَبّ ليصير دقيقا.

و يبدو أنّ ما جمع بين المعنيين الأوّل الفصيح و الثّاني هو فعل التّجمع أو الجمع، فكما أنّ الدّلالة الأولى تستدعي التّجمع حتى يكتمل معناها، كذلك القرويشة تجمع الحبّ حتّى تتمكّن من طحنه، و هو ما يدخل ضمن باب انتقال الدّلالة من مجال إلى مجال.

11- الرّبيـــع:

الرّبيع: جزء من أجزاء السّنة، و هو الفصل الّذي يتلو الشّتاء.

والرّبيع عند العرب ربيعان: ربيع الشّهور وربيع الأزمنة.

والرّبيع: النّهر الصّغير.

والرّبيع: المطر الّذي يكون في الرّبيع.

و الرّبيع: ما تعلفه الدّواب من الخضر[93].

ما يمكن قوله على هذه اللّفظة هو أنها انتقلت إلى مفهوم آخـــر عنـــد الفلاّحين، بحيث أصبحت تدلّ على ما يُنبث في الأرض من حشيش أخضر.

وبالتّالي فالكلمة قد اكتسبت شكلا دلاليا آخر ممّا جعلها تبتعـــد عـــن مفهومها الفصيح، و هو ما يُطلق عليه الإنتقال الدّلالي، ولعلّ مـــاجمع بـــين الدّلالتين هو صفة الاخضرار و الازدهار الّتي يتصف بها الرّبيع سواء كان فصلا أو زمنا أو مطرا -باعتباره سببا في الاخضرار- أو حشيشا أخضر.

---

[92] - ينظر: العين، 375/3، مادة (قرش)، و مقاييس اللغة، 70/5، مادة (قرش).
[93] - لسان العرب، 102/4، 104، مادة (ربع).

12- الـــرّيف:

الرّيف هو الخصب و السّعة في المأكل و المطعم[94].

لم تحافظ اللّفظة على معناها الفصيح في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، و إنّما اكتسبت مدلولا آخر، و أصبحت تعني عندهم المزرعة (أي البادية).

و يدخل هذا التّحول ضمن انتقال الدّلالة من مجال إلى مجـــال آخـــر، و لعلّ ما ربط بين المفهومين (الخصب والسّعة، و البادية) هو أن كليهما ينبؤ على أنّ هناك مكان للسّعة و الرّاحة، فالكلمة في كلتا الحالتين تستدعي هـــذه السّعة حتى تؤدي وظيفتها.

13- ذَرَّ:

ذرَّ الله الخلق في الأرض نشرهم، فالذّال والرّاء أصل واحد يدلّ علـــى لطافة وانتشار[95].

هذا اللّفظ شهد تطوّرًا في الدّلالة، ذلك أن (ذَرَّ) في قول فلاّحي مدينة الرّمشي هي عملية يقوم بها الفلاّح بعد درس الحَب لتصفيته.

وعليه فقد انتقلت الكلمة من مفهوم كانت عليه إلى مفهوم آخر حـــتّى صارت غريبة بالمعنى الأوّل عند هؤلاء الفلاّحين، و نجدهم يقولون: (ذَرِّيـــت الگَمْح أو ذَرِّيتْ الحُمُّص ...).

ومن اليسير أن نتصوّر بين دلالة اللّفظين، حتّى يظهر وجه الشّبه الرّابط بينهما والمتمثّل في فعل "النّشر"، فكما أن الله ســـبحانه و تعـــالى ذرّ النّـــاس و نشرهم في الأرض، فكذلك الفلاّح يذرّ الحَبّ و ينشره حتى يصفيه.

غير أنّ انتقال اللّفظ من مجال إلى مجال آخر، أي خروجه مـــن معنـــاه

---

[94] ينظر: العين، 2/ 169، مادة (ريف).

[95]- ينظر: لسان العرب ، 4/ 304 ، مادة (ذرر)، و مقاييس اللغة ، 343/6 ، مادة (ذرّ) .

الحقيقي إلى المعنى المجازي الّذي يتناسب و الاستخدامات الجديدة التي صار عليها، لم يكن دون رابط بين المعنيين بل لابدّ أن تبقى هذه الألفاظ في معانيها الحادثة قريبة من موضوعها الأصلي، فالمفردات و الأسماء في محطّات دلالتها، و إبّان النّقلات الحضارية و اجتياز اللّفظة من مدلول إلى آخر بقيت على اتّصال في الدّلالة مع ما سبقتها وبخيط مشترك بين الاثنين[96]، حتّى و إن زال استخدام المعنى الأوّل ، لأنّ الظّاهرة اللّغوية عندما يصيبها التّطور أو تموت أو تتغيّر لأيّ سبب من الأسباب، فإنّ هذا التطوّر أو الموت لا يكون نهائيا في جميع جزئياتها، و إنّما يبقى ما يشير إلى أنّ هذه الظّاهرة كانت موجودة ومستعملة في يوم من الأيّام[97].

و يعدّ تغيير مجال الدّلالة بالانتقال باللّفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر من أقوى أسباب التطوّر، لأنّه يباشر تبديل المعنى من الحقيقة إلى المجاز، و إليه تُعزى معظم اختلافات المعاني و تغييرها،[98] فهو لا يقتصر على تخصيص أو تعميم فقط، بل ينقل الكلمة من دلالة كانت عليها إلى دلالة جديدة، « وهذه النّقطة هي الأهمّ من سابقتيها»[99].

تلك إذن كانت بعض الأمثلة الّتي حاولنا من خلالها التّدليل على وجود ظاهرة التّطوّر الدّلالي و امتدادها في كلام فلّاحي مدينة الرّمشي، كما بيّنا أهمّ أشكال هذا التّطور الّذي مسّ هذا المنطوق.

و نعتقد بعد كلّ هذا أنّ التّطور الدّلالي سواء في اللّغة الفصحى أو

---

[96]- ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، محمد علي التهناوي، تقديم و إشرف و مراجعة رفيق العجم ، تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت (لبنان)، ط1، 1996 م ، 5/1 ، 8.

[97]- ينظر: دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية، يحي عبابنة، دار الشروق للنشر و التوزيع عمان (الأردن)، ط1، 2000 م ، ص 197.

[98]- ينظر: المعجم الدلالي بين العامي و الفصيح، عبد الله الجبوري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1 ، 1988 م ،ص ط ، و في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 195 .

[99]- اللغة العربية الثقافة العامة، محمد عبد الغني المصري، و مجد محمد الباكير البرازي، دار المستقبل للنشر و التوزيع، عمان (الأردن)، د.ط ، 1988 م ، ص 93 .

اللّهجة في كل أبعاده غير كاف لإثبات الصلة التاريخية بين الدّلالات، لأن تاريخ الألفاظ غامض، و قد أصبح من المتعذّر الاستدال على الظروف التي نشأ فيها هذا التطوّر، و لهذا فإن كلّ محاولة لرسم بطاقة شخصية لكلمة واحدة تجلّي تاريخها وحياتها و توضّح اشتقاقها ودرجة أصالتها من حداثتها هو أمر ممكن من النّاحية النّظرية ومتعذر من الناحية التطبيقية، وأكبر من أن تفي به وظائف التحليل و التعليل المقترحة و الكفيلة باستنطاق كثرة سعة اللّغة العربية و وفرة ألفاظها المانعة من الإحاطة بها.[100]

العامي الفصيح:

من المتّفق عليه عند اللّغويين أنّ معظم اللّغات في العالم توجد بجانبها مجوعة من العاميات، تمثل أساليب كلامية يسلكها الناطقون للتعبير عن حياتهم اليومية البسيطة والبعيدة عن التّصنع و التّكلف.

وعليه فإن وجود لهجات بجانب الفصحى ليس بدعا في العربية بل هي ظاهرة موجودة في اللّغات الحية الرّاقية، و ذلك لأن معظم الدّراسات الاجتماعية في البلدان المتقدمة توضح أن مستويات العامية في المجموعات الفرنسية و البريطانية و غيرها تختلف باختلاف المواقف و المستويات[101].

و إذا نظرنا إلى طبيعة العلاقة القائمة بين اللغة الفصحى والعامية لوجوداها قديمة مند نشأة اللّغات المكتوبة تقريبا، بل إنّ الفصحى في حدّ ذاتها كانت في إحدى مراحل تاريخها لغة عامية، تطورت نتيجة العوامل المختلفة، فالواقع اللّغوي العربي في بداية النّهضة الحديثة كانت تسوده اللّهجات المحلية،

---

[100]- ينظر: التطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر ، ص 206-207.

[101]- ينظر: مجلة اللغة العربية، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 1999م، العدد 2، عنوان المقال : اللغة العربية بين تفصيح العامية و تعريب الفصحى، عبد الكريم بكري، ص 97.

و هذه اللّهجات قديمة في تاريخنا، تعود إلى فجر الإسلام، فهي ظاهرة موازية للفصحى منذ قرون[102].

فازدواجية الفصحى و العامية في المجتمع إذن أمر تقتضيه الضّرورة فهي ظاهرة طبيعية تعتري كل لغة في العالم، و هي إحدى المعطيات البديهية في حياة الشّعوب الرّاقية، باعتبار كل منهما مستوى خاص له مجالات استعماله التي يتفرّد بها و هذا التّفرد و التّمايز بينهما يكون في معاني الألفاظ، كما يكون في نطق الأصوات و الصّيغ و تأليف الكلام و الإعراب و هو أمر لم يصنعه أحد بنية[103].

ومن أجل ذلك رأينا أنّه من المفيد أنّ نشير إلى أنّ الكثير من المفردات الّتي نتداولها في أمورنا اليومية و الّتي حافظت على دلالتها الفصحية، بعد أن نبذتها اللّغة الكتابية و تنكّرت لها، و أبقتها لغة الحياة العادية، من أجل أن نتبيّن العلاقة واضحة متينة و لتبدو الرّابطة قويّة بين العربية الفصحى و العامية اليومية، لأنّ الكثير منّا من يعتقد بأنّ العامية ما هي إلّا نماذج كلامية ليس لها أصول في العربية.

1- الإبالة:

« هي الحزمة من الحطب أو الحشيش»[104].

وهي كذلك في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، إلّا أنهم ينطقونها بدون همزة، فيقولون : بَالة بلام مفخمة، و جمعها بالات.

---

[102] - ينظر: علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة (مصر)، ط2، د.ت، ص 90-91.

[103] - ينظر: المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات للنثر و الشعر، محمد عبد، عالم الكتب، القاهرة (مصر)، د.ط.، 1981م، ص 58

[104] - لغة العرب، جورج ميتري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1، 1993م، 4/1، مادة (أبَل).

2- بَسْبَـــاس :

و يقال أيضا بسباسة و أهل المغرب يسمون الرَّازْيَانْخْ بسباس، قال ابن رافع:

أَخَذْتُ مِنْ كَفِّ الغَزَالِ المُبصِرِ ... غُصْنًا مِنَ البَسْبَاسِ مُمْطِرًا طَرِي

كَأَنَّهُ فِي عَيْنِ كُلِّ مُبْصِرِ ... مَذَبَّةٌ بَيْنَ الجَدِيرِ الأَخْضَرِ [105]

ويُعرف البسباس بخضرته و طراوته، و يُؤكل أخضر أو مطبوخا، و هو متداول بهذا المفهوم عند هؤلاء الفلّاحين و الكلمة فصيحة صحيحة.

3- البُـــور:

جاء في معاجم اللّغة العربية أنّ البور؛ الأرض الّتي لم تُزرع و المعـــامي المجهولة و الأغفال و نحوها، و هو في الحديث، «بار» المتاع كسد وبار عملـــه بطل.[106]

وفي منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي تحمل هذه الكلمة المعنى نفسه.

4- الـــدّرَاس:

دَرس الحصيد يدرسه درسا و دراسا: داسه يفصل الحَبَّ منه[107].

و الكلمة بهذا المعنى موجودة و متداولة عند فلاّحي مدينة الرّمشي، وهي و إن أُهملت في الاستعمال الفصيح، فإنّها حاضرة عند هؤلاء الفلّاحين، ونجدهم يقولون: (نَدَّرسوا) أي يحصدون الحبّ.

5- الحَـــرْث:

« إثارة الأرض لزرع أو غرس »[108].

---

[105] - شفاء الغليل، ص 100.
[106] - ينظر: مختار الصحاح، ص 69.
[107] -المصدر نفسه، ص 1092.
[108] - الإفصاح في فقه اللغة، ص 1064.

و هذه الكلمة عربية فصيحة، أطلقها الفلّاحون على المعنى نفسه.

6- المطمورة:

« حفيرة تحت الأرض يوسّع أسفلها و تخبّأ فيها الحبوب »[109]

يتداول فلّاحي مدينة الرّمشي هذا اللّفظ بالمعنى نفسه، إلّا أنّنا لا نكاد نعثر عليه في العربية الفصحى، فهو قليل الاستعمال.

7- السّاقيـــة:

نُـــهَيِّر صغير يستعمل لسقي الزّرع.[110]

و السّاقية موجودة في منطوق هؤلاء الفلّاحين بهذا المفهوم.

8- السّلك:

« هو الخيط الذي يُنظم به الخُرز و نحوه، أو الّذي يُخاط به، و السّلك، خيط من المعدن دقيق أو غليظ كسلك الكهرباء »[111].

هذه الكلمة فصيحة، ولكن قلّما نجدها بهذا المفهوم في العربية الفصحى المعاصرة، إذ هي مقتصرة فقط على معنى الطّريق كأن نقول هذا الـــسّلك أي المنحى، و هي متداولة عند فلّاحي مدينة الرّمشي بالمعنى الأوّل.

9- الصِّـــر :

« هو صِرُ الرّيح الباردة، ويقال أصاب النّبت صرٌ إذا أصابه برد يضربه »[112].

الكلمة فصيحة تستعمل بالمعنى نفسه عند فلّاحي الرّمشي.

10- العَوْلَـــة:

«العول: كلّ ما عالك، و المستعان به، وقوت العيال ».[113]

---

109 - لسان العرب، 502/4، مادة (طمر).
110 - ينظر: المصدر نفسه، 391/10، مادة (سقى).
111 - المعجم الوسيط، 1 /445، مادة (سلك)
112 - معجم مقاييس اللغة، 3/ 283، مادة (صر).
113 - القاموس المحيط، 580/3، مادة (عال).

هذه الكلمة تقريبا تلاشت من الإستعمال اللّغوي الفصيح المعاصر، و هي شائعة في عاميتنا الحديثة، كما في منطوق فلّاحي مدينة الرّمشي، و هي تُطلق على نصيب من القوت أو الحَبّ يدَّخِره الفلّاح.

11- قَادُوس:

و عاء يُخرج به الماء من السّاقية[114].

يتداول فلّاحي مدينة الرّمشي لفظ القادوس بهذا المعنى، إلّا أننا لا نكاد نظفر به في فصحانا الحديثة.

12- التِّبن:

« عصيفة الزّرع من البرّ و نحوه معروف، واحدته تبنة »[115].

الكلمة فصيحة، و هي بنفس المعنى عند هؤلاء الفلّاحين.

13- تَلِّيس:

بكسر التّاء و تشديد اللاّم، قيل أنه نوع من السّجاد الرّخيص، يصنع من وبر الماعز، و هو خفيف النّسج يفرش على الأرض و جاء بمعنى ما يكون في الرّحل.[116]

و هذه المادّة عربية فصيحة نجدها عند فلاّحي مدينة الرّمشي على شكل كيس يصنع من وبر الماعز، يستعمل لادّخار الحَبّ، و جاء في المثل: « ما تْقُولْ وَاحَدْ حَتَّى يَحْبِي في التَّلِّيس»، أي لا تفرح بشيء حتى تتأكّد من صدق الخبر.

14- الزَّرِيعَة:

« ما بُذر، وقيل: الزّريع، ماينبت في الأرض المستحيلة ممّا يتناثر فيها أيّام

---

[114] ـ ينظر : نصوص و دروس غرائب اللغة ، ص 263، و المعجم الوسيط، 719/2، مادة (قدس).
[115] ـ لسان العرب، 71/13، مادة (تبن).
[116] ـ ينظر: شفاء الغليل، ص 105.

الحصاد من الحَبّ»[117].

وهي كذلك في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي، إلاّ أنّها تكاد تعـــدم في الاستعمال الفصيح.

و نخلص إلى افتراض يستند إلى كثير من الأدلّة، و من خلال ماعرضناه من مفردات استعملتها العامّة في حديثها اليومي إلى ما يلي :

تكاد تختفي الفروق بين الفصحى و العامية لأنّ معظم الألفاظ حافظت على دلالتها الأصلية عند عامة النّاس، فقد أثبتت الدّراسات في هذا المجال بأنّ « أكثر من ألف و أربعمئة كلمة عربية سليمة درجت في الكلام حتّى حسبها النّاس عامية و هي فصيحة جديرة بالتّداول في الكتابـــة و الخطابـــة و الأدب و القصص و التّمثيلات و أدب الأطفال و غيرها »[118]، و هـــو رأي وافقـــه أنيس فريحة في معجمه الّذي حاول فيه جمع الكثير من الألفاظ العامية المتداولة في لبنان، فقد اهتمّ هو الآخر بتحديد القيمة النّفعية لدراســـة هـــذه العاميّـــة باعتبارها تعكس الكثير من تاريخ الشّعب، و توصّل إلى أنّ الكثير مـــن هـــذه المفردات سامية الأصل غير مثبتة في المعاجم العربية، كما ذهب أيـــضا إلى أنّ دراسة الكلمات العامية على هذا النّمط يفيد في وضع معجم عربي عـــصري تاريخي للّغة العربية[119].

الإنسان اجتماعي بطبعه، و الاتّصال بين الأمم ضروري، و لّما كان من المتعذّر أن تبقى اللّغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى، كانت كلّ لغة من لغات العالم عرضة للتّأثير و التّأثر و سنّة اللّغات في الاحتكاك الأخذ و العطاء.

---

117 ـ لسان العرب، 141/8، مادة (زرع).

118 ـ اللغة العربية آلياتها الأساسية و قضاياها الرّاهنة، صالح بلعيد، د.ب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، ص121.

119 ـ ينظر: معجم الألفاظ العامية، أنيس فريحة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1، 1997م، ص ح-ز.

وليس في وسع أيّ أمّة من هذه الأمم أن تحبس لغتها ضمن سياج خاص يمنعها من الاختلاط بغيرها من اللّغات؛ ذلك أنّ اللّغة ظاهرة حيّة تخضع في نموّها لقانون التّغيير و التبدّل شأنها في ذلك شأن الظّواهر الاجتماعية الأخرى، « فتطوّر اللّغة المستمرّ في معزل عن كلّ تأثير خارجي يعدّ أمرا مثاليا لا يكاد يتحقّق في أيّ لغة، بل على العكس من ذلك فإنّ الأثر الّذي يقع على لغة من لغات مجارة لها، كثيرا ما يلعب دورًا هامّـًا في التّطوّر اللّغوي ذلك لأنّ الاحتكاك ضرورة تاريخية، و احتكاكها يؤدّي حتما إلى تداخلها»[120].

و يعني هذا أخذ هذه اللّغات و اقتراض بعضها من بعض، وتأثير إحداهما في الأخرى و هذا ما ينطبق على العربية مع اللّغات الأخرى، فقد ارتبطت لغة العرب بكثير من لغات العالم بروابط التّأثير و التّأثّر، و لم يكد أصحابها يتردّدون في الاقتباس من تلك اللّغات بشيء يدلّ حينًا على سعة نظرهم لسنن التّطور اللّغوي، و على مدى تفتّحهم على لغات غيرهم، و ما يدلّ على أنّ الاقتراض ظاهرة ملازمة للعربية، هو إقرار العلماء بأخذها لكثير من الألفاظ الأعجمية و محاولة تعريب تلك الألفاظ و فق الأوزان العربية المعروفة، فلم يجدوا في ذلك غضاضة أو ضيرا.[121]

و لما كان الأخذ عن اللّغات أمر لا مفرّ منه لم تسلم العربية من هذا التّأثير، إذ فيها قدر كبير من الكلمات ذات الأصول الأجنبية، فقد انتقل من جرّاء الاتّصال بين العرب و الأمم الأخرى إلى العربية و عامّياتها المتفرعة عنها عدد كبير من مفردات اللّغات الفارسية و اليونانية و التّركية و الكردية و القبطية، وكان أكثرها أثرا الفارسية وأقلّها أثرا اليونانية، و قد أتيح للعربية

---

120 ـ اللغة، فندريس، ص 348.

121 ـ اللغة العربية، آليا تها الأساسية وقضاياها الراهنة، صالح بلعيد، ص 5. بتصرف

و لهجاتها العامية في أثناء الحروب الصّليبية فرص الاحتكاك و تعدّدت أسبابه تبعا لتوثّق الرّوابط الاقتصادية و السّياسية[122]، وعامّية الجزائر أكبر دليل على ذلك، فقد تأثّرت باللّغة الفرنسية بحكم استعمارها لها و علاقتها المختلفة معها، فنتج عن ذلك تسرّب الكثير من الكلمات الفرنسية إلى اللّهجة الجزائرية.

و إلى جانب هذا، فقد انتقلت ألفاظ كثيرة من الآرمية إلى العربية لاسيما في مجال الفلاحة و الحراثة و الحياة الرّوحية، فالبادية العربية لم تكن تعرف الكثير من أنواع الزّراعة، كزراعة التّفّاح أو التّوت أو الخوخ أو الرّمان، إلاّ عن طريق المناطق الزّراعية في الشّام و العراق، و كانت هذه المناطق آرمية، و عندما تعرّبت احتفظت بهذه الألفاظ للتّعبير عن تلك السّلع فاستقرّت في العربية و أصبحت تتداول بشكل عادى حتى يومنا هذا[123].

فالمدّ و الجزر إذن متعاقبان، و النّبذ و الاكتساب على وفق حاجة اللّغة سنّة جارية[124]، فقد عاشت العربية زمنا طويلا تراحبت فيه رقعتها و انتشر سلطانها، ووسعت الكثير من المصطلحات التي جاءتها من اللّغات المختلفة، فنظرة سريعة في حديثنا اليومي تنبؤ عن ذلك التّأثر الواضح الذي يتجلّى في الكثير من الكلمات الّتي لها تاريخ، و هذا دليل على أنّ العربية تعرف كلمات تعود إلى اللّغة السّامية الأم.

وبما أنّ اللّغة دائمة التّغير على ألسنة ناطقيها و على أقلام كتّابها، و أنّ الحاجة التّعبيرية تستلزم مواقف جديدة، عثرنا على طائفة من الألفاظ الّتي قبلتها

---

[122] - ينظر: علم اللّغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه،، صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة العلمية الإسكندرية (مصر)، د.ط، 1995م، ص 21.

[123] - ينظر: اللّغة العربية عبر القرون، محمود فهمي حجازي، ص 115، و ينظر: الخصائص الصّوتية في لهجة الإمارات، دراسة لغوية ميدانية، أ حمد عبدالرحمٰن حماد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، د.ط، د.ت، ص 42.

[124] - ينظر: شفاء الغليل، ص30.

العربية و عاملتها بطرقتين؛ فإمّا تركتها على صورتها الّتي جاءت عليها و سمّتها بالدّخيلة، و إمّا صاغتها على أبنيتها حتى توافق أوزانها وسمّتها بالمعرّبة، و سنوضّح ذلك من خلال ما لمحناه من مفردات تتردّد على ألسنة فلاّحي مدينة الرّمشي؛ فهذه المدينة هي الأخرى شهدت فترات من الاستعمار كان من جرّائه أن علقت مفردات كثيرة في منطوقها، و سنأخذ كلام الفلاّحين كعيّنة، نبيّن من خلاله إلى أيّ مدى تجلّت صور كلّ من الدّخيل و المعرّب عندهم.

1- *الدّخيل*:

تعدّ ظاهرة الدّخيل في العربية ظاهرة قديمة، تعود إلى عهودها الأولى في زمن الجاهلية،و قد أولاها العلماء جلّ رعايتهم، فسعوا يجمعون ألفاظها و يجدّرون أصولها، بغية الوصول إلى الطّريق الّذي دخلت منه و الزّمن الّذي عبرت فيه.

فالدّخيل إذن هو :« كلّ كلمة أجنبية لا تخضع للمقاييس العربية، و تبقى على حقيقتها، مثل أسماء الأعلام الأجنبية و المستحضرات الطبّيّة.... و هذا لعدم إمكانية تعريبه أو وضع المقابل له، وسمّي دخيلا لتميّزه بالغرابة»[125].

و فيما يلي سرد للألفاظ الدّخيلة التي اهتدينا إليها من خلال محاورتنا لفلاّحي مدينة الرّمشي.

1- بَـالَـة:

هي وعاء من الجلد أو الحديد، يستعملها الفلاح في شؤونه، " وهي فارسية"[126].

---

[125] - وضع المصطلحات، محمد طبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، د.ط، 1992م، ص 34.

[126] - نصوص و دروس غرائب اللغة العربية، رفائيل نخلة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (لبنان)، ط2، 1960م، ص 218.

2- **بَغْـــل:**

هو الحيوان المعروف، يستعمله الفلاّح لجرّ المحراث، و هـــي مـــن الحبشية(Bagl)[127].

3- ***الجليـــد:***

ما يسقط على الأرض من النّدى فيجمد، و هذه الكلمة مأخوذة مـــن الآرمية (Glîdo) [128].

4- ***الدَّالْيَـــة:***

هي في منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي شجر العنب، و هي مأخوذة مـــن الآرمية (Dolîto)، و تعني كذلك كرمة العنب[129].

5- ***سَانْدِيكـــة:***

(Syndicat)، أي النقابة، والكلمة فرنسية.

6- **العنـــب:**

يعدّ من الفواكه، مأخوذ من الآرمية (Enbo)[130].

7- ***عَرَبَـــة:***

جمعها عربات، و المصطلح يوناني (Arma)، فقد أدخل ابن بطوطة هذه اللّفظة إلى العربية و معناها عجلة ومركبة[131].

8- ***الفْرِيـــك:***

و هو المفروك من الحَبّ، و هي آرمية أصلها (Friko)[132].

---

127 - ينظر: المرجع نفسه، ص 235.
128 - ينظر: المرجع نفسه، ص 177.
129 - ينظر : عوامل التطور اللغوي، عبد الرحمان حماد، ص 215.
130 - ينظر : المرجع السابق، ص 196.
131 - ينظر: المرجع السابق، ص 219.
132 - ينظر: نصوص و دروس غرائب اللغة، ص 199.

9- *قـــادوم:*

هي آلة يستعملها الفلاّح للحفر أو النّقش في الأرض، و هي كلمة عبرانية أصلها (قردوم)[133].

بالإضافة إلى الكثير من أنواع الخضر و الفواكه التّي أدخلها العـــرب في كلامهم، لاسيما ما انتقل إليهم من الآرمية في هذا المجال، كالزّيتون، و اللّفت، و النّعناع، و الثّوم، و الخوخ، و القمح... وغيرها كثير، و هذا المدّ اللّغـــوي الّذي تعرّضت له اللّغة العربية،« لم تكن تسارعه بالقدر الكـــافي في نتـــائج الصّناعة و محاصيل الزّراعة و المهن و الحرف، و الظّـــواهر المختلفـــة للحيـــاة اليومية »[134]، فاستعانت بهذه الألفاظ حتى تسدّ تلـــك الفجـــوة و تُـــسعف ناطقيها.

2- *المعـــرّب* :

توجد في اللّغة العربية طائفة كبيرة من الألفاظ الأجنبيـــة المعرّبـــة، ولا عجب في ذلك فقد اختلط العرب في الجاهلية، و كذلك على الأخصّ في صدر الإسلام بالأمم المجاورة ذوات الحضارات القديمة،كالفرس و النّبط و اليونـــان و الرّومان، و أخذوا من لغاتهم العديدة من الألفاظ[135]، و هذه الألفاظ الّـــتي اقترضتها العربية تخصّ ما تحتاجه و بما امتازت به اللّغة المؤثّرة، « فالبلد المتّفوق في ناحية من نواحي الحياة أو الثّقافة يعطي هذا الجانب و مع ألفاظه إلى الّذي افتقد هذا الشّيء»[136]، فما انتقل إلى العربية من الفارسية أو اليونانية أو الآرمية

---

[133] - ينظر: عوامل التطور اللغوي، ص 221.

[134] - العربية دراسة في اللغة و اللهجات و الأساليب، يوهان فك مع تعليقات شبيتالر، ترجمه و قدم له و علق عليه، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، د.ط، 1400هـ 1980م، ص 204.

[135] - ينظر: الغريب المصنف، أبو عبيدة ابن سلام، تحقيق و تقديم، رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (مصر)، ط1، 1989م، ص 149.

[136] - علم اللغة، توفيق شاهين، ص 138.

كان مما تميّزت به هذه الشّعوب في أيّ ميدان من الميادين الّتي برزت فيها.

فالمعرّب إذن هو « ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعاني في غير لغتها»[137]، حتّى صار عربيّا في لغتها بإخضاعه لميزانها الصّرفي.

و الألفاظ المعرّبة في اللّهجة الجزائرية ليست بالقليلة، فقد انتقلت إليها هي الأخرى الكثير من الكلمات المعرّبة، و هذا ما سنبينه من خلال مـــاوقر في كلام فلاّحي مدينة الرّمشي.

1- البادنجـــان:

هو نوع من الخضر، فارسي الأصل، أصـــلها (بادنكـــان) Bedengan فتحوّلت الكاف المختصّة بالفارسية إلى الجيم العربية[138].

2- البرتقـــال:

هي من أصل برتغالي، مأخوذة من اسم البرتغال (Portugal)، الّذي عرّبه عرب الأندلس، واصطلاح هذا الاسم على هذه الفاكهة أمر غريب، لأنّ اللّغات الأوربية لا تأخذ بهذه التّسمية، و إنّما تسمّي البرتقال (Orange) في الإنجليزية و الفرنسية[139].

3- البطّيـــخ:

جاء في شفاء الغليل أنّ البطّيخ أنواع من الهندي، ويسمّيه أهل مـــصر الأخضر، وأهل المغرب يطلقون عليه اسم دلاّع و البطّيخ يكون في أغلـــب الأحوال أصفر اللّون، و الدلاّع كلمة فارسية محرفة عن دلاّع (Dalla)[140].

---

[137] - المزهر، 268/1.

[138] - ينظر: الدخيل في الفارسية والعربية والتركية معجم و دراسة، إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت(لبنان)، ط1، 1986، ص 46.

[139] - ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية، لويس عوض، مكتبة سينا للنشر، القاهرة (مصر)، ط2، د.ت، ص 407.

[140] - ينظر: شفاء الغليل، الخفاجي، ص 100.

إلّا أنّ فلّاحي مدينة الرّمشي ينطقون بطّيخ (بتّيخ)، بإبدال الطاء تاء، و يخصّون الدلاّع بنوع والبطّيخ بنوع آخر.

4- **طُوبَة:**

يطلقونها هؤلاء الفلاّحين على تراب الأرض الممزوج بماء المطر، فيتشكّل كالطّين، لاسيما في الأرض المحروثة حديثا، وهي « لغة شامية وأحسبها رومية، و اسم شهر بالقبطية، و هو غير عربي»[141].

5- **لوبيا:**

هي من الباقوليات. و الكلمة من أصل يوناني (Louvi) كما أوردها اليسوعي[142].

6- **مطمورة:**

هي حفرة تحت الأرض يوسّع أسفلها لحفظ الحبوب (Matmourlo)، و هي آرمية[143].

7- **السّاقية:**

هي عبارة عن نهر صغير، يستعمل لسقي الزّرع، وهي كلمة آرمية (Chqîto)[144].

8- **السّكة:**

« سكّة المحراث، آرمية الأصل (Seklo).»[145]

9- **السّلك:**

هو عبارة عن خيط يستعمله الفلاّح لشدّ حزم التّبن، و هو عبراني.[146]

---

141 - ينظر: المرجع نفسه، ص 204.
142 - ينظر: نصوص و دروس غرائب اللغة العربية، ص 269.
143 - ينظر : المرجع نفسه، 194.
144 - ينظر : المرجع نفسه، ص 187.
145 - المرجع نفسه، ص 188.
146 - ينظر : المرجع نفسه، ص 99.

10- الفــدّان:

الثّوران يقرن للحرث بينهما. و الفدّان: المزرعة، و هــو جــزء مــن الأرض محدود على أربعة وعشرين قــيراط، و هــو مــن مقــاييس الأرض، و هو نبطيّ معرّب[147].

11- صهريــج:

هو كالحوض يجتمع فيه الماء، و أصله فارسي[148].

12- قــادوس:

هو إناء يخرج الماء من السّاقية (Kadhos)، و هو من أصل يوناني[149].

كانت هذه محاولة بسيطة سعينا من ورائها إلى استجلاء صلات العربية و عامياتها باللّغات الأخرى، من خلال مسح مبسّط لبعض الألفاظ الّــتي وردت على ألسنة فلاّحي مدينة الرّمشي فبدا لنا؛ أن اللّغة العربية بما فيهــا من لهجات كغيرها من اللّغات تخضع لعامل التّأثير و التّــأثر بغيــة تلبيــة حاجات المجتمع الماسّة إلى الكثير من الألفاظ.

كما بدا لنا أيضا براعتها الفائقة في التّعامل مع هذه الكلمات الأجنبيــة و جعلها مثل الألفاظ الأصلية فيها، وهي سمة ليست بالغريبة عليها، « فأحوال العربيــة فيمــا تــوالى عليهــا مــن العــصور و الأدوار في أثنــاء نموّهــا و ارتقائها من زمن الجاهلية إلى هذا اليوم، إنّما سارت في ذلك سير الكائنات الحية بالدّثور و التّجدّد المعبّر عنه بالنّمو الحيوي»[150].

---

147 - معجم متن اللغة، أحمد رضا العاملي، دار مكتبة الحياء، بيروت (لبنان)، 1377هـ - 1958م، 372/4، مادة (فدن).

148 - ينظر: لسان العرب، 312/6، مادة (صهريج).

149 - ينظر: نصوص و دروس غرائب اللغة العربية، ص 236.

150 - اللغة العربية كائن حي ، جورجي زيدان، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط2، 1988م، ص 92.

والقاموس اللّغوي لدى فلاّحي مدينة الرّمشي، أصابه ما أصاب القاموس الفصيح؛ بحيث تّأثر هو الآخر، و هذا ما أوردناه سابقا، فالألفاظ الدّخيلة و المعرّبة قد شغلت مكانة كبيرة في كلام هؤلاء الفلاّحين.

الخاتمة

الخاتمة

و الّذي نحسبه بعد كلِّ هذا أنّنا لا نبتعد عن الحقيقة إذا جزمنـــا بـــأنّ وُلوج عالم اللّهجات، فيه من الأهمّيّة و الصّعوبة ما قد يشّكل عوائـــق أمـــام الباحث، فأمّا أهمّيته فتكمن في كونه من آصل البحوث اللّغوية و أمّا صـــعوبته فتمكن في أنّه محفوف بالمخاطر.

و على قدر ما توفرّ لنا بحثنا في هذا الموضوع بما نراه يقـــود إلى الغايـــة المرجوّة بعد جهد و مثابرة كبيرين؛ لأنّ دراسة لهجة من اللّهجات يعدّ ضرب من ضروب الحفاظ على جوهر اللّغة المتداولة، وليس من السّهل ضبط كلّ ما يتداوله العامّة من ألفاظ، فاللّهجة كاستعمال لغوي يُنطق ولا يُكتب واحدة من الميزات الخاصّة بها، بعكس الفصحى الّتي نجد مفرداتها موثّقة تحفظها الكتب.

و بعد الدّراسة الّتي قمنا بها في استقصاء ما طرأ على لهجة مدينة الرّمشي وفئة الفلاّحين بالذّات، باعتبارها تمثّل إحدى اللّهجات العربية المعاصرة آلت بنا إلى استنتاج النتائج التّالية:

1- كما هو معروف فالكائنات لاتثبت على حال، إذ تخضع إلى قانون التبدّل و التّحوّل ولا يُستثنى من هذه القاعدة التّفكير الإنساني، واللّغـــة الـــّتي يحملها ليست ساكنة، فأصواتها وتراكيبها و معانيها خاضعة كلّـــها للتّطـــوّر و التّغير، و منطوق فلاّحي مدينة الرّمشي جرت عليه سنّة هذا التّطور، و كلّ انحراف بدا عليه هو نتيجة حتميّة لهذا القانون الطّبيعي، و بالرّغم من ذلك فيه من الظّواهر ما ينبئ عن تلك الآصرة الّتي تشدّه باللّهجات العربية القديمة.

2- عرف النّظام الصّوتي لمنطوق فلاّحـــي مدينـــة الرّمـــشي بعـــض الاضطرابات و التبدّلات التي مسّت بعض الأصوات، وهذه التّغيرات لم تخضع في الغالب لقواعد ثابتة، فهي ليست عامّـــة مثـــل قـــوانين الرّياضـــيات أو الكيمياء...وإنّما تعطي قدرا معيّنا من الاطّراد الّذي يصيب الأصوات في فترات معينة من الزّمان و بالنّظر أيضا إلى المكان.

3- القوانين الصّوتية تلقائية لا دخل لإدارة الإنسان فيها، جماعية غـــير فردية تتّفق عليها جماعة من الأفراد في زمان و مكان معيّنين و هـــي في ذلـــك تسير ببطئ.

4- إنّ دارسة ألفاظ لغة ما أو لهجة ما تساعد دون شكّ على دراســـة المجتمع من حيث عاداته و تقاليده، و قيمه الدّينية و الخلقية و أسلوب تفكـــير أفراده و طريقتهم في العيش وعلاقاتهم فيما بينهم وعلاقاتهم مع غيرهم، كمـــا تساعد على تحديد المفاهيم المتّفق عليها في بيئة محدّدة ممّا يكـــشف عـــن ذاك الارتباط الوثيق بين اللّغة و ناطقيها؛ ذلك أنّ في تسميتهم شيئا باسم بعينه وفي إطلاق لفظ دون آخر عليه واختيار صفة من صفاته ما يدّل على اتجـــاههم في التّفكير و فهمهم للأمور و نظرتهم إليها.

5- لمعرفة عقلية مجتمع ما يجب تناول لغته تناولا تحليليّا مقارنا، و هـــذا بالاستعانة بقوانين علم الدّلالة ومبادئه، وما يفتحه من آفاق المقارنة بين اللّغـــة التّي يتكلّمها الفرد و اللّغات الأخرى.

6- لعب عامل الزّمن دورا كبيرا في تغيير مداليل العديد من الألفاظ عن معانيها القديمة، حتّى اعتقدنا أنّها مفردات جديدة صنعتها هذه اللّهجة، ولولا عودتنا للمعاجم التي أثبتت أصولها لما استطعنا أن نصل إلى مداليلها القديمـــة،

فالزّمن شأنه أن يغير و اللّهجة من ضمن هذا الزّمن، و كلمّا كثُـــر اســـتعمال الكلمات كانت عرضة للتّغير.

7- إن الواقع اللّغوي عند هؤلاء الفلاّحين يستمدّ أصالته من الفـــصيح العربي في الكثير من الأحيان.

8- إنّ الحشد الّذي صادفناه من المفردات الدّخلية و المعرّبة أمر طبيعي؛ فألفاظ الفلاحة في معظمها أجنبية لاسيما أسماء بعض المزروعات و الفواكه الّتي دخلت إلى العربية عن طريق الآرمية و الفارسية...

9- و من ناحية أخرى حافظ منطوق الفلاّحين على الكثير من الألفاظ الفصيحة التي افتقدها الفصحى المعاصرة، وهذا دليل على أنّه ليس كلّ مـــا في كلام العامّة خطأ أو متبدل، بل في العديد من ألفاظهم طاقة تعبيرية قد تُثـــري معجم الفصحى لو استُغِلّت كما يجب.

10- مازالت مدينة الرّمشي بالرّغم من الهوة الفاصـــلة بينـــها وبـــين الفصحى تسير على نظام اللّغة العربية في مستواها الصّوتي و الدّلالي.

و عليه ما يمكن قوله هو أنّ دراسة لهجة من اللهّجات من المواضيع الّتي لا تزال أقرب إلى الغموض، و يجدر بنا أن نجتهد في الكشف عنها، فهي تشكّل وحدة مستقلّة لها مقاييسها المحددة الّتي لا تُخترق، ولها معجم ألفاظ خاصّ بها، و هي في كلّ الأحوال تبقى دستور العامّة الّذي يجب احترامه.

إلاّ أنّه ما يجب التّنبيه إليه في كلّ ما أسلفت من القول، هو أنّه لا أزعم أنّني أخذت بمجامع هذا الموضوع، بل أقول حاولت ما وَسِعْتُ الإحاطة ببعض من جوانبه.

وأرجو بعد كلّ هذا أن يكون عملي إشارة تهدي الباحث إلى القيـــام بدراسات أخرى في حقل اللّهجات، تطمح إلى تعزيز القرابة بين لهجاتها العربية

و بين لغتنا الفصحى حتى تستقرّ هذه الأخيرة على ألسنة ناطقيها فلا يلجؤون إلى غيرها.

و بعد، فهذه هي أهمّ ما توصّلت إليه من نتائج، فإن كنت قد وفّقـــت و أصبت فهو ما قصدت و إن كنت قد أخطأت أو زللت فما عـــن قـــصد، و عذري أني حاولت و اجتهدت، و من اجتهد و أصاب له أجـــران و مـــن اجتهد و أخطأ له أجر واحد.

و أخيرا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يُلبس هذا العمل ثـــوب القبـــول، و أن ينتفع به من اطّلع عليه.

و الله من وراء القصد

ملحق للصور

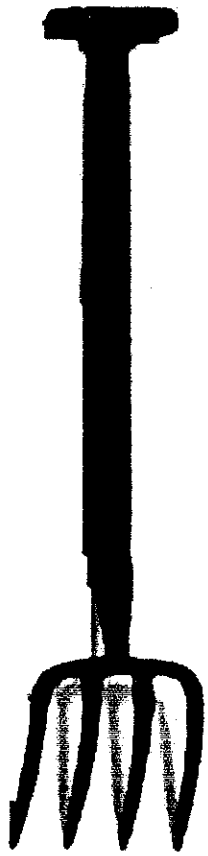

مِـــذرى

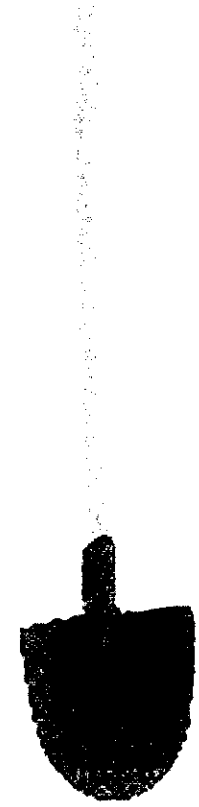

بـــالـــــة

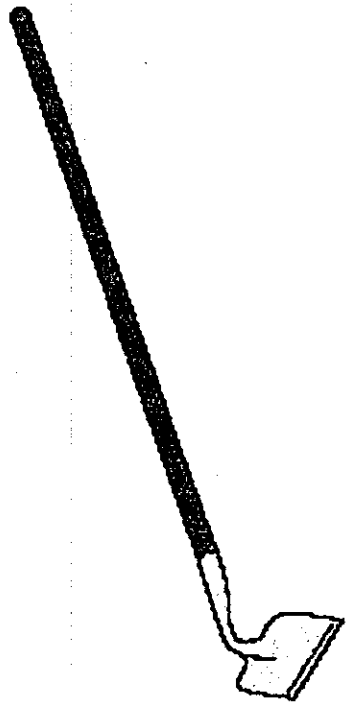

قادوم من الحجم الكبير

آلة لنقش الأرض

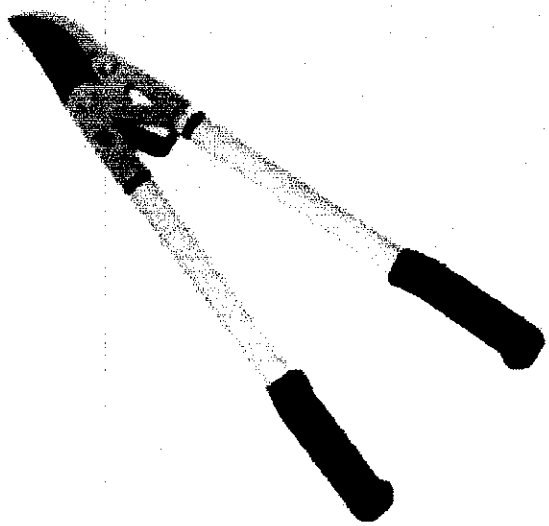

مقـــص

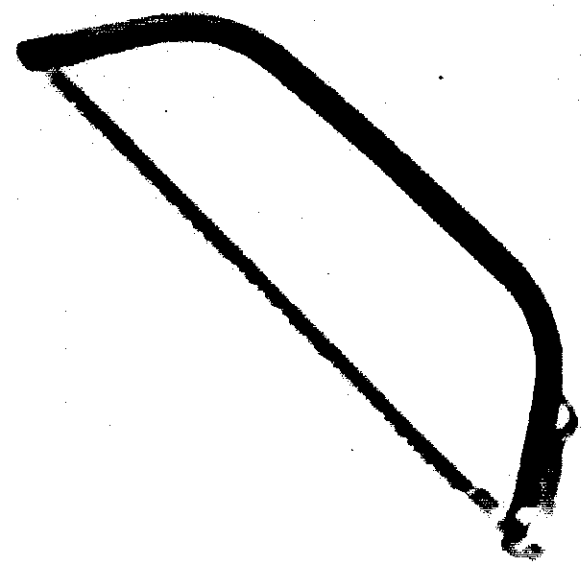

منشـــار

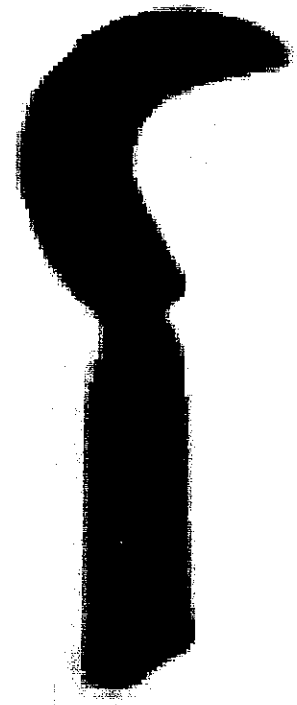

منجـــل

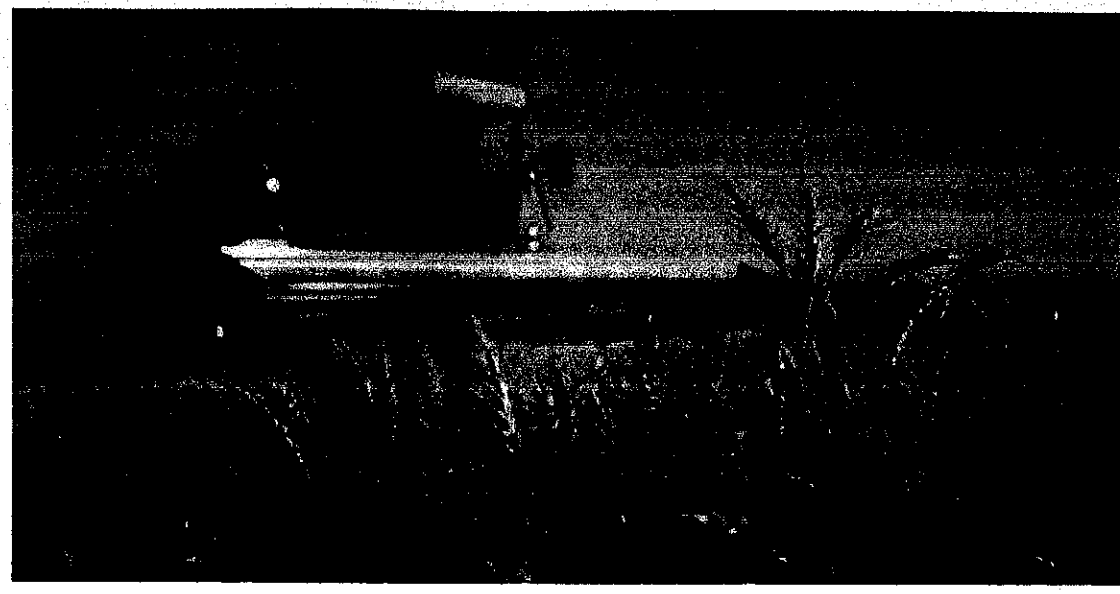

آلــة حصــاد

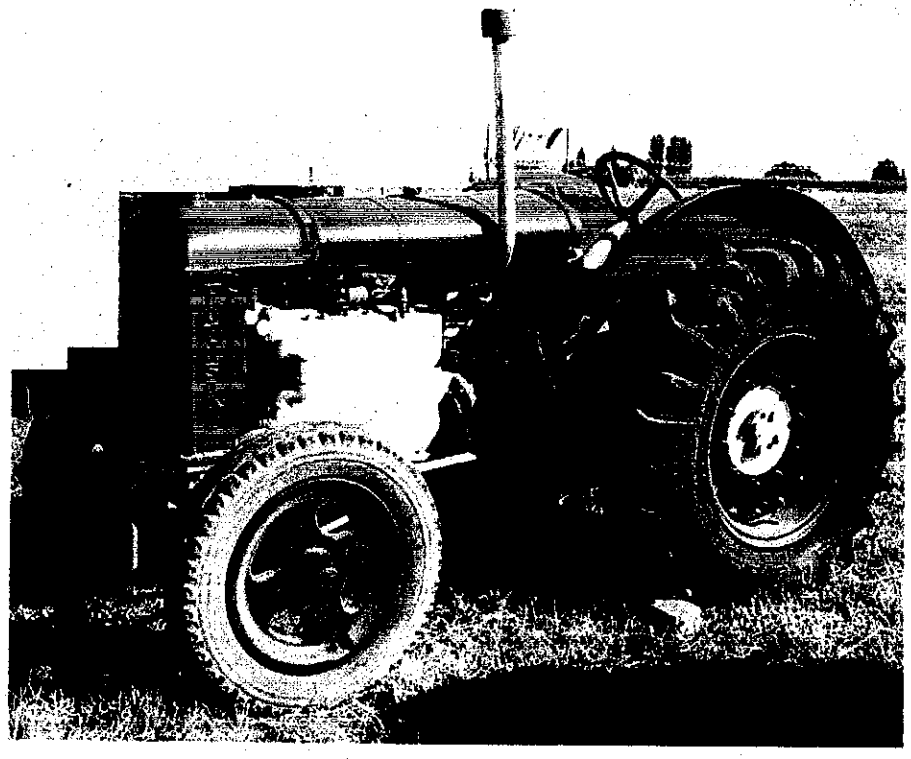

جـــــرار

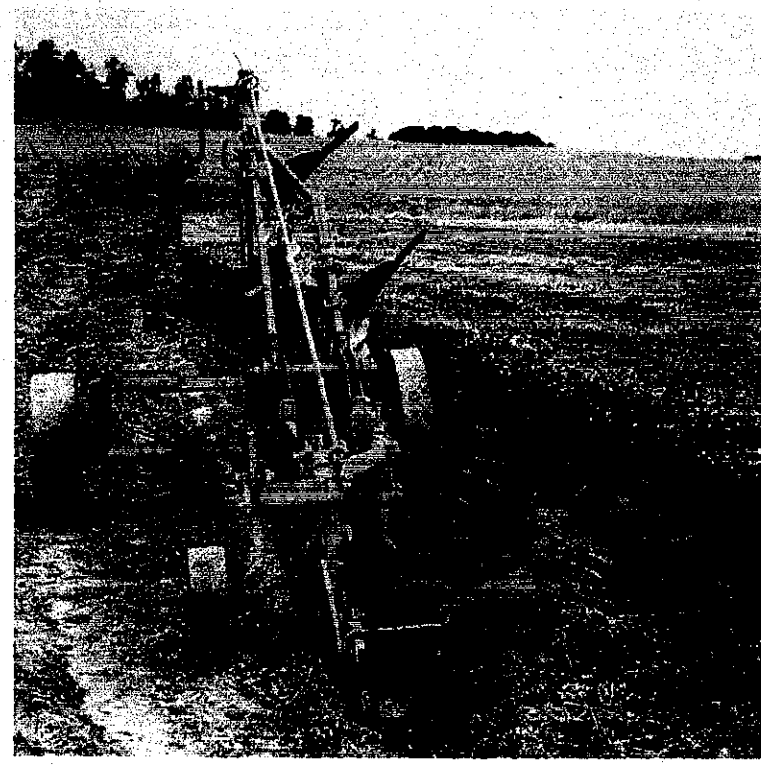

محـــراث

أرض محروثة (قليب)

القمـــح

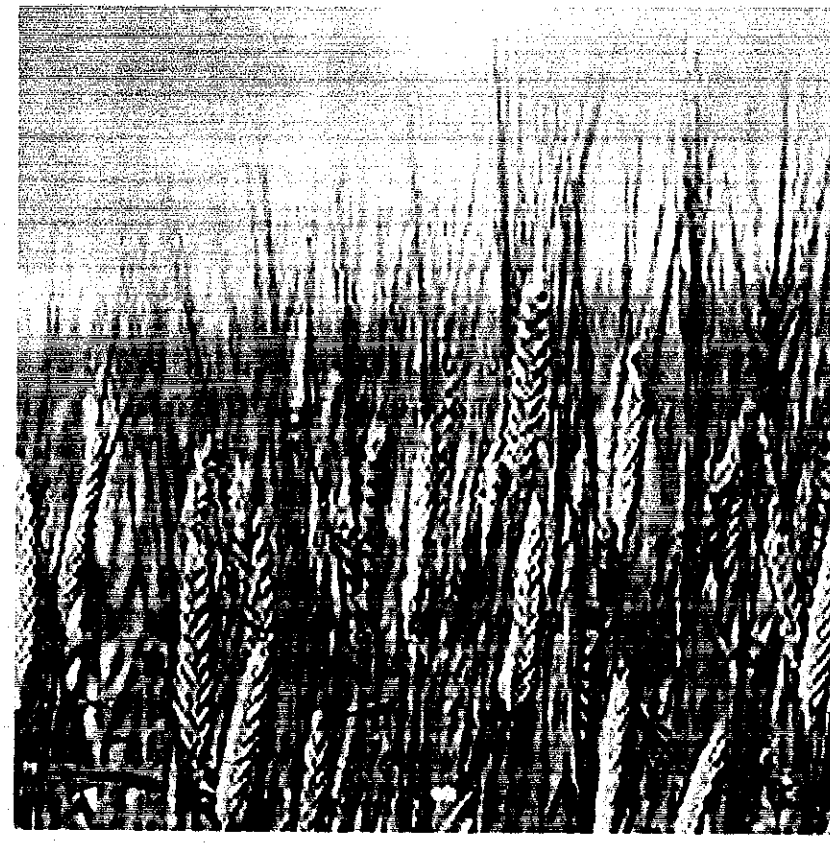

الشعيـــر

الخرطـــال

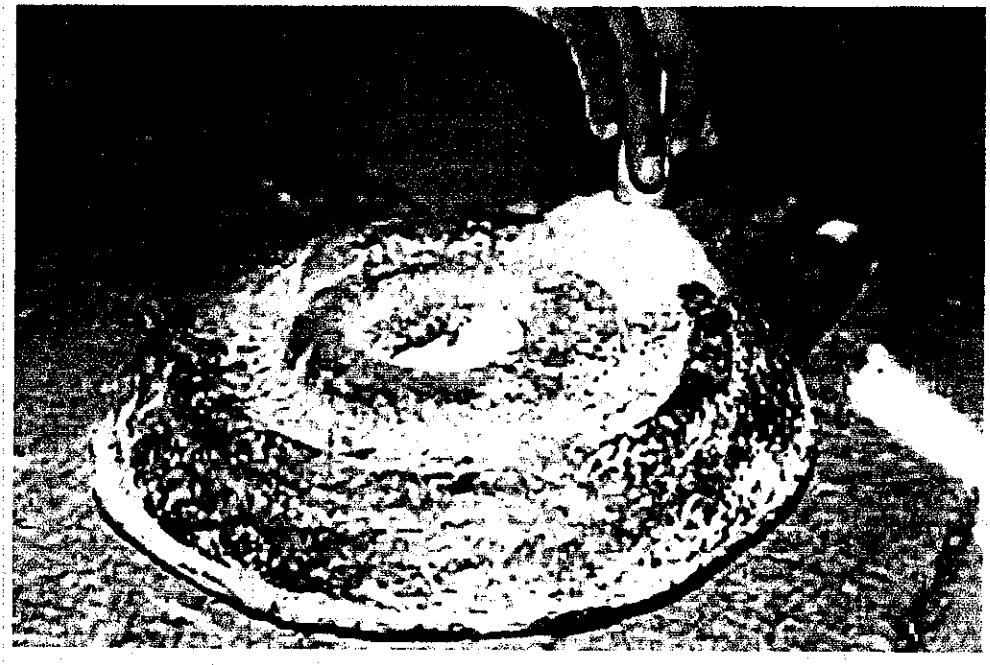

طاحونة يدويـــة (القرويشـــة)

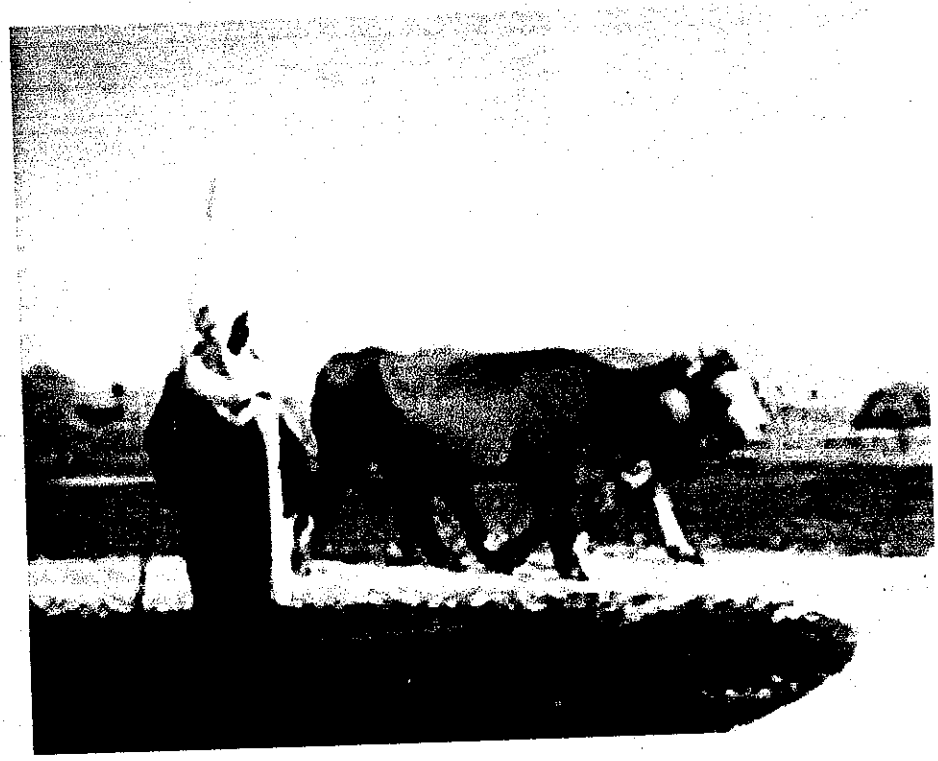

عملية الـــدراس

عملية التذريـــة

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

● القرآن الكريم : برواية ورش عن نافع.

1- الإبدال والمعاقبة والنّظائر: أبو القاسم عبد الرّحمٰن بن إسحاق الزّجّاجي، حقّقه و قدّم له وشرحه عزّ الدّين التّنوخي، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط 2، 1412هـ - 1993م.

2- اتّجاهات البحث اللّغوي والأدب: عبد الكريم بكري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران (الجزائر)، د.ط، 1997م.

3- أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي أبو عمرو ابن العلاء:عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط1، 1408هـ-1987م.

4- أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربية: فوزي حسن الشّايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، 1425هـ-2004م.

5- الأحكام في أصول الإحكام: سيف الدّين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن محمد الآمدي، دار الفكر العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1417هـ - 1996م.

6- أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، شرح وتقديم علي ناعور، دار الكتب العملية، بيروت (لبنان)، ط1، 1408هـ- 1988.

7- الأصوات اللّغوية:إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)،ط4، 1971م.

8- الأصوات اللّغويــة: عبد القادر عبد الجليل، دار الصّفاء للنّــشر والتّوزيــع، ط1، 1998م.

9- أصوات اللّغة العربية: عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة (مصر)، د.ط، 1416هـ، 1996م.

10- إصلاح المنطق: ابن السّكيت، شرح وتحقيق أحمد محمّد شاكر عبد الــسّلام محمد هارون، دار المعارف القاهرة (مصر)، ط4، د.ت.

11- الإفصاح في فقه اللّغة:حسن يوسف موسى وعبد الفتّاح الصّعيدي، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، ط2، 1348هـ، 1929م.

12- بحوث ومقالات في اللّغة:رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط2، 1407هـ-1988م.

13- بحوث لسانية بين اللّسان ونحو الفكر:نعيم علوية، المؤسّسة الجامعية للدّراســة والنّشر والتّوزيع، بيروت (لبنان)، ط2، 1406ه- 1968م.

14- تاريخ آداب العرب :مصطفى صادق الرّافعي، دار الكتاب العربي، بــيروت (لبنان)، ط4، 1974م، ج1.

15- تثقيف اللّسان وتلقيح الجنان: أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الــصّقلي، قدّم له وقابل مخطوطاته مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1410هـ- 1990م.

16- التّطور اللّغوي التّاريخي:إبراهيم السّامرّائي، دار الأندلس، ط2، 1981م.

17- التّطوّر النّحوي للّغة العربية:برجشتراسر، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، د.ط، 1417هـ - 1997م.

18- التّطوّر اللّغوي، علله وقوانينه، ومظاهره: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، دار الرّفاعي بالرّياض، ط1، 1404هـ- 1983م.

19- تربية الصّوت وتطوير الإلقاء: سامي عبد الحميد، مطبعة الأديب البغدادية، د.ط.د.ت.

20- التّصريف اللّغوي من خلال علم الأصوات الحديث: الطيب البكوش، تقديم صالح القرمادي، تونس، ط2، 1987م.

21- الجمانة في إزالة الرّطانة: بحيّث في لغة التخاطب في الأندلس وتونس لبعض علماء القرن 19هـ، مهّد له و حقّقه علي حسن حسنين عبد الوهاب الصّماوجي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (مصر)، د.ط، 1953،م العدد 9.

22- جمهرة اللّغة: ابن دريد أبو بكر محمد ابن الحسن الأزدي البصري، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط1، 1345هـ.

23- الحضارة الإسلامية علماء المسلمون و فضلهم في علوم الأحياء (الأرض – الزّراعة – الحيوان و الحشرات):إبراهيم سليمان عيسى، دار الكتاب الحديث، القاهرة (مصر)، د.ط. 1413هـ- 1999م.

24- الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط2، 1985م.

25- الخصائص الصّوتية في لهجة الإمارات، دراسة لغوية ميدانية: أحمد عبد الرحمٰن حماد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، د.ط، د.ت.

26- دراسات في فقه اللّغة:صبحي صالح، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط13، 1997م.

27- دراسة الصّوت اللّغوي:أحمد مختار عمر، مطبعة عالم الكتب، القاهرة (مصر)، ط3، 1985م.

28- دراسات في فقه اللّغةوالفنولوجيا العربية:يحي عبانبة، دار الشّرف للنّشر والتّوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2000م.

29- دلالة الألفاظ:إبراهيم أنيس، مكتبةالأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، ط6، 1991م.

30- الدّلالة والكلام دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة: محمد محمد داود، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة (مصر)، د.ط 1421هـ- 2000م.

31- الدّخيل في الفارسية والعربية والتّركية معجم ودراسة: إبراهيم السّلمرّائي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، د.ط.

32- الدّلالة اللّفظية: محمود عكّاشة مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، د.ط، 2002م.

33- ديوان أبي فراس: تحقيق و شرح، كرم البستاني، رواية عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر بيروت (لبنان)، ط1، 1412هـ، 1992م.

34- ديوان ابن عنّين: شرف الدين أبي المحاسن محمد ابن نصر، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر بيروت (لبنان)، ط2، د.ت.

35- رسالة أسباب حدوث الحروف: أبو علي الحسين عبد الله ابن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير علم،تقديم ومراجعة، شاكر الفحّام وأحمد راتب النفاح، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق (سورية)، د.ط، د.ت.

36- سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، دارسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق (سورية). ط1، 1405هـ، 1985م.

37- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، قدّم له وصحّحه ووثّق نصوصه وشرح غريبة، محمد كشّاش، دار الكتب العلمية، لبنان (بيروت)، ط1، 1418هـ- 1998م.

38- الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا، علّق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1418هـ، 1997م.

39- الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طرفي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1420هـ-1990م.

40- الصّوتيات والفنولوجيا: مصطفى حركات، المكتبة العصرية، صيدا (بيروت)، ط1، 1418هـ- 1998م.

41- الصّوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم: محمد محمد داود، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2000م.

42- علم الأصوات العربية: جان كانتينيو، ترجمة صالح القرمادي، تونس، د.ط، 1996م.

43- علم الأصوات: مالمبرج بريتيل، تعريب عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، القاهرة (مصر)، د.ت، د.ط.

44- علم اللّغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، مكتبة الجبلاوي شبرا (مصر)، ط2، 1402هـ، 1986م.

45- علم اللّغة الإجتماعي مفهومه وقضاياه: صبري إبراهيم السّيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، د.ط، 1995م.

46- علم اللّغة بين التّراث والمناهج الحديثة : محمود فهمي حجازي، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة (مصر)، ط2، د.ت.

47- علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، عمان (الأردن)، ط1، 1998م.

48- علم النّفس اللّغوي: نوال عطيّة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة (مصر)، ط2، 1995م.

49- عوامل التّطور اللّغوي دراسة في نموّ وتطوّر الثّروة اللّغوية: عبد الرحمٰن حمّاد، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع لبنان (بيروت)، ط1، 1403هـ، 1983م.

50- العربية دراسة في اللّغة واللّهجات والأساليب: يوهان فك مع تعليقات شبيتالر، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، د.ط، 1400هـ- 1980م.

51- العين: الخليل أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان)، ط1، 1424هـ- 2003م.

52- العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة (مصر)، ط3، 1418هـ- 1998م.

53- علم الأصوات العام: أصوات اللّغة العربية: بسّام بركة مركز الإنماء القومي، بيروت (لبنان)، د.ط، 1988م.

54- علم الدّلالة: كلود جرمان وريمون لوبلون، ترجمة، د.نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاز يونس بنغازي (ليبيا)، ط1، 1997م.

55- علم الدّلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة (مصر)، ط2، 1988م.

56- علم الدّلالة : بيار جيرو ومنذر عياش دار طلاس دمشق (سورية)، ط1، 1988م.

57- علم الدّلالة العربي: النّظرية والتّطبيق دراسة تاريخية تأصيلية، نقدية: فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

58- علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي دارسة: عبد الجليل منقور، منشورات اتّحاد الكتاب، دمشق (سورية)، د.ط، 2001م.

59- عالم النّبات في القرآن الكريم: عبد المنعم فهيم الهادي ودنيا محسن بركة، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، ط1، 1998م.

60- علم اللّغة: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر، القاهرة (مصر)، ط7، 1945م.

61- علم وظائف الأصوات اللّغوية الفونولوجيا: عصام نور الدين، دار الفكر اللّبناني، بيروت (لبنان)، ط1، 1992م.

62- الغريب المصنّف: أبو عبيدة القاسم بن سلام، تحقيق و تقديم رمضان عبد التواب، مكتبة الثّقافة الدّينية القاهرة (مصر)، ط1، 1989م.

63- فقه اللّغة وسر العربية: أبو منصور عبد المالك بن محمد الثّعالبي، تحقيق إميل نسيب، دار الجيل بيروت (لبنان)، ط1، 1418هـ- 1998م.

64- فن الإلقاء بين النّظرية والتّطبيق: نجاة علي، تقديم مختار السويفي، الدّار المصرية اللّبنانية، ط3، 1424هـ- 2003م.

65- في الأصوات اللّغوية دراسة في أصوات المدّ العربية: راغب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام العراقية، ط1، 1984م.

66- في اللّهجات العربية: إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، ط6، 1984م.

67- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمٰن المرعشلي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت(لبنان)، ط1، 1997م.

68- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروز الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1415هـ - 1995م.

69- القاموس الزّراعي: قام بمراجعة النّص العربي مصطفى حداد، دار إحياء لحد، بيروت (لبنان)، د.ط. 1985م.

70- قطر المحيط: بطرس البستاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط2، 1995م.

71- الكتاب: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبز، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون،دار الجيل للطّباعة، الفجالة (مصر) ط2، 1402هـ - 1982م.

72- الكلّيات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحيني الكفوي، قابلة وأعدّه،عدنان درويش ومحمد المصري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (مصر)، ط2، 1413هـ- 1992م.

73- لحن العامّة والتّطوّر اللّغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشّمس ، القاهرة (مصر)، ط2، 2000م.

74- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط6، 1414هـ- 1994م.

75- اللّسانيات وأسسها المعرفية: عبد السّلام المسدي، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د.ط، 1986م.

76- اللّسان وأمراض اللّغة (رؤية إكلينيكية) وانعكاساتها الاجتماعية: محمد كشاش، المكتبة العصرية، بيروت (لبنان)، ط1، 1419هـ-1998م.

77- اللّغة: جوزيف فندرس، تعريب عبد الحميد الدّواخلي و محمد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (مصر)، د.ط، د.ت.

78- اللّغة العربية الثّقافة العامّة: محمد عبد الغني المصري و مجد محمد الباكير البرازي، دار المستقبل للنّشر والتّوزيع عمان (الأردن) د، ط، 1988م.

79- اللّغة والدّلالة آراء ونظريات ودراسة : عدنان بن ذريل، منشورات اتّحاد الكتاب العربي، دمشق (سورية)، د.ط، 1981م.

80- اللّغة العربية آلياتها الأساسية و قضاياها الرّاهنة : صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995م.

81- اللّغة العربية عبر القرون: محمود فهمي حجازي، دار الثّقافة، القاهرة (مصر)، ط2، 1978م.

82- اللّهجات العربية نشأة وتطوّرا: عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة (مصر)، ط2، 1414هـ- 1993م.

83- اللّهجات العربية القديمة: إبراهيم السلمرّائي، دار الحداثة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1994م.

84- اللّهجات العربية في القراءات القرآنية : عبده الراجحي، دار المعارف، د.ط، 1969م.

85- اللّهجات العربية في التّراث القسم الأول: في النّظامين الصّوتي والصّرفي: علم الدين الجندي، الدّار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د.ط، 1978م.

86- مبادئ اللّسانيات: أحمد محمد قدور، دار الفكر العربي، دمشق (سورية)، ط2، 1419هـ - 1998م.

87- محاضرات في علم النّفس اللّغوي : حنفي بن عيسى، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط2، 1980م.

88- محاضرات في الألسنية العامّة: فرديناند ديسوسير، ترجمة مجيد النصر و يوسف غازي، الجوينة (لبنان)، د.ط، د.ت.

89- المخصّص : أبو الحسين علي ابن إسماعيل المعروف بابن سيده، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (مصر).

90- المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة: صلاح الدّين صالح حسنين، دار الإتّحاد للطباعة، مصر، ط1، 1991م.

91- مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1403هـ- 1985م.

92- مدخل في الصّوتيات : عبد الفتاح إبراهيم، دار الجنوب للنّشر، تونس، د.ط، د.ت.

93- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدّين السّيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت (لبنان)، د.ط، د.ت.

94- المستوى اللّغوي للفصحى واللّهجات للنّشر والشّعر: محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة (مصر)، د.ط، 1981م.

95- مشكلات اللّغة والتّخاطب في ضوء علم اللّغة النّفسي: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة (مصر)، د.ط، 2002م

96- مصنفات اللّحن والتّثقيف اللّغوي حتّى القرن العاشر: أحمد محمد قدور، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق (سورية)، د.ط، 1996م.

97- معرفة اللّغة : جورج بول، ترجمة محمد فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية (مصر)، د.ط، د.ت.

98- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقرّي، دار الحديث القاهرة(مصر)، 1421هـ - 2000م.

99- معالم اللّهجات العربية: عبد الحميد محمد أبو سكين، مطبعة الفاروق الحرفية للطّباعة والنّشر، مصر، د.ط، د.ت.

100- معجم ألفاظ القيّم الأخلاقية وتطوّرها الدّلالي بين لغة الشّعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: نوال كريم زرزور، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1، 2001م.

101- معجم ودراسة في العربية المعاصرة: إبراهيم السّامرّائي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1، 2000م.

102- معجم الألفاظ العامّية: أنيس فريحة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت(لبنان)، د.ط، 1947م.

103- المعجم الدّلالي بين العامّي والفصيح: عبد الله الحبوري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1، 1988م .

104- معاجم الموضوعات في ضوء علم اللّغة الحديث: محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية للطّبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندرية (مصر)، د.ط، 2002م.

105- المعجم الوسيط : إخراج إبراهيم مصطفى،وحامد عبد القادر،وأحمد حسن الزيات،ومحمد على النّجار ،المكتبة الإسلامية للطّباعة والنّشر والتّوزيع، إستنبول (تركية)، ط2، 1392هـ - 1982م.

106- معجم متن اللّغة: أحمد رضا، دار مكتبة الحياء، بيروت (لبنان)، 1377هـ- 1958م.

107- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السّكاكي، دار الكتاب العلمية بيروت (لبنان) د.ط، د.ت.

108- المنصف: شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التّصريف للإمام أبي عثمان المازني،تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله الأمين، ط1، 1373هـ، 1954م.

109- مقدّمة ابن خلدون: عبد الرّحمٰن بن محمد بن خلدون، تحقيق، درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1416هـ - 1996م.

110- مقدّمة في اللّغويات المعاصرة: شحادة فارغ وموسى عمايرة وجهاد حمدان ومحمد عناني، دار وائل للطّباعة والنّشر، القاهرة (مصر)، ط1، 2000م.

111- مقدّمة في فقه اللّغة: لويس عوض،مكتبة سينا للنّشر، القاهرة (مصر)، ط2، د.ت.

112- من أصول اللّهجات العربية: عبد المجيد عابـــدين، دار المعرفـــة الجامعيـــة، الإسكندرية (مصر)، د.ط، 1989م.

113- موسوعة كشّاف إصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهناوي، تقـــديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشـــرون، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م.

114- نصوص و دروس غرائب اللّغة العربية: رفائيل نخلـــة اليـــسوعي، المطبعـــة الكاثوليكية، بيروت (لبنان)، ط2، 1960م.

115- الوجيز في فقه اللّغة: محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشّرف، بيروت (لبنـــان)، ط3، د.ت.

116- الوجيز في فقه اللّغة العربية : عبد القادر محمد مايو، مراجعة وتدقيق أحمـــد عبد الله فرهود، دار القلم العربي حلب (سورية)، ط1، 1419هـــ- 1998م.

117- وضع المصطلحات: محمد طبي، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعيـــة الرّغايـــة (الجزائر)، د.ط، 1992م.

المراجع الأجنبيـــة:

1- Groupement des communes: Remchi- Ain youcef, wilaya de Tlemcen, Bilan de la situation actuelle, 1993, Phase I.
2- La sémantique, Christian Touratier, Armand Colin, Paris, 2000, S.I.
3- Subdivision agricole de Remchi, Plan de production cultures maraîchers, 2003-2004.
4- Wilaya de Tlemcen, Groupement des communes: Remchi Ain youcef, projet du plan directeur d'aménagement et urbanisme, 1994, Phase III.

2- الدّوريـــات:

1- أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة، نايف خرما، سلسلة كتب ثقافيـــة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثّقافـــة و الفنـــون و الآداب، الكويـــت، ط2، 1398هـــ - 1978م.

2- تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، د.هاشم الطعان، مقدمة في علم اللّهجات سلسلة فلسفة اللغة العدد1، قبرص (اليمن)، د.ت.

3- التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق (سورية)، 1408هـ -1987م، العدد 29، و موقعها على شبكة الأنترنيت:
http://www.awu-dam.org/trath/29/turath29-008.htm

4- الخصائص الصوتية للدّارجة الجزائرية، دراسة في لهجة بني فتح (جيجل) بلقاسم بلعرج، مجلة التواصل، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، تصدر عن جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، 1998م.

5- اللّغة العربية بين تفصيح العامية و تعريب الفصحى، عبد الكريم بكري، مجلة اللّغة العربية، مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد الثاني، 1999م.

6- مدخل إلى علم اللسان الحديث، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، عبد الرحمان حاج صالح، معهد العلوم اللسانية و الصوتية، الجزائر، 1974م.

3- مواقع شبكة الانترنيت :

1- http://www.cirstm.org/pays/paysAR.php?nom-Algerie.
2- www.55.net.

4- المخطوطات:

1- بعض مظاهر علم الدّلالة العربي من خلال ديوان حسان بن ثابت، مخطوط رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، إعداد عمر صبور، إشراف عاطف عبد الهادي علام، معهد اللغة العربية و آدابها، الجزائر، 1990م.

2- الجوانب الدّلالية في كتاب المخصص لابن سيدة (ت 458هـ)، مخطوط رسالة دكتوراه دولة في اللّغة العربية، إعداد عبد القادر سلامي، إشراف د.زبير دراقي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، تلمسان، 1423هـ 2002م.

3- دراسة بعض ألفاظ الحضارة في ضوء علم الدّلالة من خلال كتاب البخلاء للجاحظ، مخطوط رسالة دكتوراه حلقة ثالثة، إعداد بن حويلي مدني، إشراف د.عاطف علام معهد اللغة و الأدب العربي، الجزائر، 1411هـ، 1990م.

4- دراسة صوتية و دلالية في اللّهجة التواتية، مخطوط رسالة ماجستير، إعداد عبد القادر أقصاصي، إشراف د.عبد الجليل مرتاض، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 1420هـ-1421هـ/ 2000-2001م.

5- ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللّغويين العرب حتى نهاية القرن3هـ، مخطوط رسالة دكتوراه دولة في اللّغة العربية، إعداد المهدي بوروبة، إشراف د.زبير دراقي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، تلمسان، 1422هـ -1423هـ/2001م/2002م.

الفهرس

فهرس

إهـــــداء.

المقـــدمـــة..... أ– ه

المدخل : حول مدينة الرمشي و الفلاحة فيها

المـــــــوقـــــع..... 2

تاريخ إنشاء البلديـــة..... 2

أصل كلمة الرّمشـــــي..... 3

دارســـة المنطقـــة جغرافيـــا..... 6-4

حـــول مفهوم الفلاحـــة..... 9-8

الفلاحـــة في الإســـلام..... 11-9

من تراث الفلاحة عند العـــرب..... 14-11

علماء بـــرزوا في مجال الفلاحـــة..... 20-14

الفصل الأول : الدّراسة الصّوتية

التغيّرات التّركيبيـــــــة..... 24-23

الإبـــدال..... 39-24

إبـــدال الهمزة حروف علّة..... 29-28

إبـــدال الثّاء تاء..... 30-29

إبـــدال الدّال تاء..... 30

إبـــدال الذّال دالا..... 31-30

إبـــدال السّين زايا..... 32-31

إبـــدال الشّين صادا..... 32

إبـــدال الصّاد سينا 34-33
إبـــدال الضّاد دالا..... 35-34
إبـــدال القاف جيما قاهريـــة..... 36-35
إبـــدال النّون ميمـــا..... 37-36
إبـــدال اللّام نونا..... 39-38
القلـــب..... 44-39
القلـــب بين الحركات الخلفية و الأمامية..... 40
قلـــب الضّمّـــة فتحـــة..... 41-40
قلـــب الفتحة ضمّـــة..... 41
قلـــب الكسرة ضمّـــة..... 42-41
القلـــب بين الحركات الأمامية..... 44-42
المماثلـــة: Assimilation..... 50-44
مماثلـــة تقدّميـــة..... 48 -47
مماثلة تقدّميـــة تامة..... 48
مماثلة تقدّمية جزئية..... 49-48
مماثلـــة رجعيـــة..... 49
مماثلـــة رجعية تامّـــة..... 49
مما ثلة رجعية جزئيـــة..... 50-49
المخالفـــة: Dissimilation..... 54-50
المخالفـــة بين الصّامتين المتماثلين..... 54-51
المخالفـــة بين الصّائتيـــن..... 54
المقـــطـــــع La syllabe..... 67-54
أنـــواع المقاطع..... 63-58
أثر البناء المقطعي لبعض ألفاظ الفلاحة في الدّلالة..... 67-63

النّبْـــر l'accent..... 67-73
أنـــواع النّـــبر..... 70-68
مواضـــع النّبْـــر في اللّغة العربية..... 71-70
مواضـــع النّبْـــر لبعض الألفاظ الفلاحية..... 73-71
التّغيّـــرات التّاريخيـــة..... 83-73
عامـــل الحالة النّفسيـــة..... 74
عامـــل السّهولـــة..... 75-74
عامـــل الشّيـــوع..... 75
عامل اختـــلاف أعضاء النّطـــق..... 76-75
عامـــل الخطـــأ في التّقليـــد..... 77-76

الفصل الثّاني: الدّراسة الدّلالية

أسباب التّطور الـــدّلالي..... 94-85
العامل الاجتماعي والثّقافـــي..... 92-91
العامـــل النّفســـي..... 93-92
عامل الانحراف اللّغـــوي..... 94-93
العامـــل التّاريخـــي..... 95-94
أشكـــال التّطوّر الـــدّلالي..... 116-95
تعميـــم الدّلالـــة..... 99-95
تخصيص الدّلالـــة..... 105-99
الانتقال من مجال إلى مجـــال..... 116-105
العامّـــي الفصيـــح..... 121-116
الـــدّخيـــل..... 126-121
المعـــرّب..... 130-126

الخاتمـــة..... 135-132
ملحـــق الصّور..... 137-134
قائمة المصادر و المراجع..... 158-145
الفهـــرس..... 164-160